

الفصل الأول

**الوحدة والتنوع  
في التاريخ الصحفى العربى**



# الفصل الأول

## الوحدة والتنوع.. التصور والمفهوم

فرضت الثقافة العربى فى عصورها السابقة ألوانا من التنوع، ترجع فى المقام الأول إلى عاملين<sup>(١)</sup>: أولهما أن الثقافة العربية امتدت فشملت رقعة واسعة جدا من الأرض، تنوعت فيها أنماط المعيشة وتفاوتت فيها درجات التحضر، وثانيهما، أن الثقافة العربية كانت منفتحة على الثقافات السابقة عليها والمعاصرة لها، فاستقبلت تيارات فكرية متعددة جاءت إليها من المشرق والمغرب، فضلا عن حصيلة ضخمة من التراث السابق كانت تعيش فى السيئات العربية نفسها وتتفاعل مع ثقافتها الجديدة.

ويظهرنا تاريخ الصحافة العربية على طابع ثقافى مميز، جعل لها شخصية مستقلة حين تقارن بثقافات الأمم الأخرى فى العصور القديمة والوسيطه، والدارسون المحدثون مهما اختلفت أحكامهم على الحضارة العربية، يعترفون بهذا التنوع من التميز والاستقلال ويجد فيه ورثة الثقافة العربية مصدرا من مصادر الخصب ووفرة العطاء<sup>(٢)</sup>.

والصحافة العربية فى العصر الحديث، امتداد لوسائل الثقافة فى الحضارات الاتصالية السابقة، ولاتزال الأمة العربية تشغل الرقعة الواسعة من الأرض، ولاتزال تتلقى أيضا حضاريا وافدا من كل جانب، ويتضح الخلاف بين الحضارات الاتصالية السابقة، والحضارة الصحفية المعاصرة فى أن العصر الحاضر قد استحدث فى مجال الثقافة مفاهيم جديدة أهمها الربط بين الثقافة والمجتمع وتأكيدا للدور الإيجابى أو القيادى للثقافة فى حياة الجماهير وكذلك مكن العصر الحاضر لأنواع من الوسائل الإعلامية لم تكن موجودة من قبل كالراديو والتلفزيون، وهى بطبيعتها تخاطب جمهورا أكثر عددا وأكثر تنوعا من جمهور حضارة التدوين قديما، حيث وسائل الاتصال السمعى والمرئى بالجماهير العريضة بالإضافة إلى المطبعة وما أنجزته وتنجزه فى ميدان الصحافة

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مؤتمر الوحدة والتنوع ١٩٧٣ ص ٢٠

(٢) نفسه ص ٣١-٥.

والمجلة والكتاب على اختلاف أشكالها وتعدد موضوعاتها، وفوق ذلك كله فإن فكرة القومية قد اتخذت لها في الوطن العربي أبعادا جديدة، وأصبحت محورا يدور حوله نشاط أبناء الأمة العربية على جميع مستوياتهم، ومنفذا لتعبئة طاقات الأمة العربية كلها في مختلف ميادين الحياة العامة.

ومن هنا انتقلت فكرة التنوع والوحدة<sup>(١)</sup> إلى وضع جديد يختلف عن وضعها في الماضي، وأثارت قضايا ومسائل لم تكن تثار من قبل، فاختلفت أحيانا، في نطاق التنوع والوحدة، فكرة المحليّة بفكرة الإقليمية، وتداخلت أحيانا أخرى فكرة القومية مع فكرة الإقليمية، وظهرت العناية الأدبية بالفنون التحريرية في الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما وقامت الحاجة إلى مخاطبة الجماهير بما يفهمونه، فوجد مجال للقول في مسألة الفصحى والعامية، لاسيما مع انتشار الأمية انتشارا واسعا في مناطق كثيرة من الوطن العربي، وكذلك أثارت قضية الاصالّة من بعض جوانبها فكرة الطابع المحلي والطابع القومي فيما يتصل بالشكل والمضمون معا، ودار حوار حول منهج الدراسة للتراث العربي على ضوء هذه المفاهيم كلها.

ونخلص مما تقدم إلى أن الأسس النظرية والعوامل المختلفة لفكرة الوحدة والتنوع في الصحافة العربية تتمثل فيما انتهى إليه مؤتمر «الوحدة والتنوع في الثقافة العربية»؛ على النحو التالي:

- إذا كان لصحافة كل أمة طابع حضارى مميز، فإن عددا من القضايا يحتاج إلى تأمل ودراسة، مثل: مواضع هذا التمايز بين الحضارات والأمم ومجالات ظهور الخصائص الفارقة بين الثقافات المختلفة وأثرها في صحافتها، وأسباب هذه الخصائص والمميزات ومدى شمولها بحيث يستمد إلى الحاضر والمستقبل في إطار التواصل العالمى والتمايز الأسمى.

- وإذا انطبق هذا على الصحافة العربية.. فلا بد أيضا من تبين مواضع

(١) المرجع السابق ص ٧.

التمييز فيها عن صحافة الأمم وخصائصها الفارقة لها عنهم، بحيث يتوافر للمتأمل إطار عام لها يوجد صورتها من جانب ويكون مجالاً لحدوث التنوع والاختلاف من جانب آخر.

- ويجب أيضاً تبين مواضع التمايز والتنوع في داخل الصحافة العربية، وما هي أسباب الخصائص المميزة، وما هي أسباب ظهور هذه الخصائص، وأيضاً مدى شمولها بحيث تمتد إلى الحاضر والمستقبل.

والقول بنشأة المنهج الإقليمي في دراسة تاريخ الصحافة العربية في العصر الحديث يحتاج إلى مزيد من الدراسة والمناقشة، فإن للتراث العربي مؤلفات عديدة تناولت شعراء وأدباء أقاليم بعينها من الوطن العربي، فهل تعتبر هذه الكتب إحياء مستترا لهذا المنهج؟ وهل تقوم دراسة الصحف على أساس من هذا المنهج؟

- وإذا كان هذه المنهج قد استطاع توضيح جوانب من خصائص بعض آداب الأقاليم والبلاد العربية القديمة، فهل امتدت هذه الخصائص نفسها إلى المعاصر من الأدب العربي، وفنون القول في الصحافة ووسائل الإعلام العربية، أم ظلت جميعها معاً ملامح تراث مشترك للعقل العربي المعاصر؟

والإعلام الصحفي يمثل جانباً هاماً من جوانب تراث الأمة: يدل على كثير من مسالك حضارتها ويعبر عن رقيها وتقدمها، ويسم شخصيتها بسمات بارزة مميزة، والإعلام صورة هامة من صور متعددة، إذا اجتمع بعضها إلى بعض، رسمت للأمة معلماً من معالمها ووجهاً من وجوهها، و«لكي تحافظ الأمة على ملامح شخصيتها، وتدافع عن موروثها وتصل ما غبر من معطياتها بما حضر، وبما تأمل أن يكون في غد مقبل، فإنها تدون ذلك التراث، وتجمع بعضه إلى بعض في جمع كفي، أو في إطار تقوي، أو على شكل آخر من الأشكال التأليفية»<sup>(١)</sup>.

(١) الدكتور محمد رضوان الدابة في «مؤتمر الوحدة والتنوع» السابق ص ٥.

«والتاريخ للصحافة عند أمة من الأمم واحد من سبل حفظ التراث وتقويمه، وعرضه على الجيل المعاصر، وتقديمه للأجيال المقبلة، وتاريخ الصحافة وسيلة أساسية من الوسائل التي تكشف عن روح الأمة، واهتماماتها ومنازعتها، فإن الاختلاف والتمييز بين أمة وأخرى إنما يقوم على ما يتصل بمجموع ثقافاتهما، ومعارفهما العامة، ومواصفاتها الأخلاقية والاجتماعية. والإعلام عنصر من «عناصر تكوين (الثقافة) له أثر هام في تلوين خصائص الأمة وفي طبعها بطابع خاص. وما من شك في أن العلوم المختلفة من رياضية وطبيعية لا تميز أمة بمياسم خاصة، لأنها من الأمور التي تشيع بين الأمم وتتبادل وتتناقل بسرعة دون أن تطفئ على شخصية أمة أخرى، ولأنها تتصل بأمور معاشية أو تتصل بتقدم الإنسان المادى الخالص، ولكن الثقافة – والإعلام من فروعها الرئيسية – تسم الأمة بمياسمها، وإذا ما نقلت أمة (ثقافة) أمة أخرى تأثرت بها، على درجات مختلفة من التأثير بمقدار ما تأخذ وتمثل، وبمقدار ما يتفاعل الوافد مع «الأصيل»<sup>(١)</sup>.

والصحافة نتاج فكري، إعلامي ثقافي، يصدر عن عقل إعلامي جمعي يصور نفسه ومجتمعه ويحكي ما يدور في داخل هذا المجتمع محليا وعالميا وما يتأثر به من مؤثرات خارجية. فالصحافة إذن صورة للمجتمع أو لوجه من وجوهه، ومظهر من مظاهره، وكما أن الإعلامى يتأثر بالمجتمع ويكون إعلامه صورة من صورته فإنه أيضا يمثل نفسه باعتباره فردا «متميزا»، أو نموذجا من النماذج في ذلك المجتمع<sup>(٢)</sup>، وتجتمع للاتصال الصحفى أهميتان: تصويره لنماذج بشرية خاصة، وتعبيره عن قطاعات مختلفة في حياة مجتمع ما.

وعلى هذا فإن الدارس، ومؤرخ الصحافة، لا يستطيع أن يغفل هذه الأمور ولا أن يتجاهلها. ومؤرخ الصحافة إنما يؤرخ لصحافة أمة (مجموعة من الناس) فى لغة معينة (وعاء فكري) فى إطار زمنى معين (تاريخ عصر أو فترة) محصورا

(١) نفسه ص ٥ (٢) نفسه ص ٥.

بظروفه وملابساته المختلفة. ولا بد لنا هنا من أن نتساءل - مع د. الداية - إلى أى مدى يتدخل (المكان)؟ وبمعنى آخر - يمكن أن يكون أكثر اتساعا - إلى أى مدى تتدخل البيئة فى التأثير على صورة الصحافة، فى نفس الإعلامى والصحفى خاصة.

إن الصحافة هى قبل كل شىء وليدة الإعلام، فى ظلال تفكير موضوعى، ولكنها - كعمل إعلامى - يظل عملية فكرية قبل كل شىء فى قالب لغوى، وهذه العملية الفكرية تظهر على شكل (تعبير) إعلامى موضوعى، يمكن أن ينقل به الصحفى إلى الأشخاص الآخرين: أحداثا وأفكارا، ومشاعر. وعلى هذا فإن (البيئة) لا تأخذ حيزا فكريا فى التأثير على الصحفى، وإذا كان لها من تأثير فينبغى أن يتلمس بصورة واقعية لا بآاء مسبقة فرضية لا تثبت عند العرض والمناقشة ووقوف الأدلة.

إن «البيئة» - أو «الإقليم»<sup>(١)</sup> - تستطيع أن تقدم للإعلام معطيات متنوعة تلون فنون التحرير بسماتها الجغرافية، أو بالحوادث الاجتماعية التى تكون بطبيعتها مادة استمداد للصحفى أو تصبغه بصبغ من الأصباغ المحلية المختلفة (وكل هذا لا يؤثر على «الأدب باعتباره فكرا، ولكنه يؤثر فيه باعتباره صورا، وحوادث يتركب عليها ذلك الفكر وتلك الآراء»<sup>(٢)</sup>) ويتضح هذا العامل البيئى حين ننظر إلى ما يسمى بالقرب المكانى فى عناصر التقويم الصحفى إذ يعنى هذا العنصر بتصوير تيارات خاصة نابعة من البيئة باعتبارها (مكانا) يعكس بشكل ما أثرا بيئيا مهما اختلفت المعطيات الأخرى: الفكر، والتراث اللغوى، والتراث الحضارى.

وما من شك فى أن الصحافة تحمل قدرا كبيرا من «أثر البيئة» وتتميز بأمر

(١) نفسه ص ٦.

(٢) نفسه ص ٦.

منها، حتى تعدو صدى من أصدائها، فقد تظهر البيئة (الجغرافية) على الصحافة فيما تسجل من أحداثها التاريخية والاجتماعية باعتبارها حوادث معينة تُنشر في حينها ويُستفاد منها.

وأضرب مثلاً من أمثلة استفادة مؤرخ الصحافة من عوامل البيئة فى الإطار الذى يصوره د. محمد رمضان الداية<sup>(١)</sup>، ذلك المثل من كتب «تاريخ الأدب عند الأدباء الأندلسيين». لقد اهتم أهل الأندلس ببلدهم، بعد مدة من استقرارهم فيه وعيشهم فى ظلاله، وبعد أن أحسوا أن غيرهم ليس أولى منهم بذلك من اهتمام وتدوين وتاريخ. وأبرز الأمثلة ما صنعه أبو الحسن بن بسام فى كتابه: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة. وذكر المؤلف فى مقدمة كتابه أنه ألف الكتاب لكى يظهر محاسن أهل بلده - مما أغفله المشاركة أو لم يولوه الأهمية الكافية - وقسم كتابه إلى أقسام بحسب البيئة الجغرافية من شرق وغرب وموسطة، وقد سائر ابن بسام فيما صنع عدد من المؤلفين، منهم ابن سعيد الذى أكمل تصنيف كتاب «المغرب فى حلى المغرب» وهو كتاب تعاقب على تأليفه عدد من المؤلفين الأدباء، وأكمله ابن سعيد. وقد نشره الدكتور شوقى ضيف فى جزأين، وقد قسم الكتاب إلى أقسام بحسب البيئة الجغرافية، ثم فرع كل قسم كبير أقساماً صغيرة، وأضاف اعتبارات أخرى. وقد تحدث المؤلف عن خصائص الأندلس وطبيعتها، ثم انتقل إلى الأقسام: غرب الأندلس والموسطة والشرق، وأفرد لكل قسم كتاباً، وقسم كل كتاب إلى ممالك، وكل هذا متصل بتفريعات جغرافية بيئية، ثم إنه وزع فى كل مملكة خمس طبقات، ومعظم أهلها عن لهم يد فى الأدب من شعر ونثر وغيره، وهم: الأمراء والرؤساء، والعلماء، والشعراء، واللفيف<sup>(٢)</sup>.

ونحسب أن هذا الاتجاه ينبىء عن فهم مبكر للوظيفة الإعلامية، وما يعنيه عنصر القرب المكاني فى التقويم الإعلامى، وما له من أثر فى فنون القول.

(٢، ١) نفس المرجع ص ٧.

لقد ازدهرت الصحافة العربية، وما تقدمه من فنون؛ فى إطار واحد ولغة واحدة، ولا يعدو الأثر المحلى فى هذه الصحافة ما يجعل طابعها إقليميا بمعنى الكلمة، وكما أنه لا يوجد فإن الصحافة التى ترتبط بالأقاليم العربية جميعا تقوم «أدب أندلسى خالص وأدب شامى، وآخر عراقى . . إلخ»<sup>(١)</sup>، على اللغة العربية وعلى معطيات هذه اللغة ومواصفاتها، ويبقى الاختلاف بين بيئة وأخرى كالاختلاف بين «أديب وآخر»<sup>(٢)</sup> وصحيفة وأخرى فى الأغراض، والأساليب، وطرائق التصوير والأداء . . إلخ، ولعل أكثر العبارات شيوعا مما يوحى بالإقليمية عبارة «الأدب الأندلسى»<sup>(٣)</sup> قديما أو الصحافة المصرية حديثا<sup>(٤)</sup> وإنما هو التسامح فى الاصطلاح أولا، والركون إلى إحياءات كثيرة يوحى بها ذلك الأدب وذلك الصحافة فى موضوعاتها الجديدة.

وينبغى ألا نغفل بعض الدعوات المعاصرة إلى (الإقليمية) فى تاريخ الصحافة العربية، ومحاولة إعطاء بعض الأقطار العربية مميزات وسمات خاصة فى الأدب تسم - برأى أصحابها - أدب بلادهم وتلونه بلون خاص، ولكن دعوتهم تلك - كما يقول د. الداية - تكشف عن هويتها الحقيقية حين تطرح اللغة العربية وعاء يستوعب الفكر وتخرج إلى العامة، وفى هذا ما فيه من خطر<sup>(٥)</sup>.

إنه لا يسوغ بشكل علمى مقبول أن يدرس تاريخ الصحافة العربية فى بعض الأقاليم باعتبارات إقليمية خاصة، «ولا ننسى أيضا ما يكون وراء ذلك المنهج حين يدعى إليه من أخطار قومية بعيدة الأثر، من تفتيت المشاعر، ومن ترسيخ الإقليمية»<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) نفس المرجع ص ١٠٢ . (٢) نفسه ص ١٠٢ .  
(٣) نفسه ص ١٠٣ .  
(٤) د. إبراهيم عبد: تاريخ الصحافة المصرية؛ للقاهرة ١٩٥١ .  
(٥) د. رمضان الداية: السابق ص ١٠٣ .  
(٦) نفسه ص ١٠٣ .



والعكس صحيح أيضا، على النحو الذى نراه تفصيلا فى صفحات الصحف العربية طوال تاريخها فى جميع أقطارها.

ونذكر هنا قول الزعيم جمال عبدالناصر: «يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان». ويظهرنا مفهوم «الوحدة والتنوع» على ما تتسم به الأمة العربية من وحدة تاريخية تلى وحدة اللغة أهمية فى ترتيب مقومات «الوحدة»، فإذا كانت اللغة تمثل روح الأمة وحياتها فإن التاريخ يصنع ذكرياتها ومشاعرها. ولعل الأمة العربية من أكثر الأمم فى العالم التى عاشت تاريخا واحدا. فوحدة الكفاح ضد الصليبيين والمغول والإنجليز والفرنسيين والصهيونيين، والاشتراك فى الحوادث، وانتقال المعارك والأبطال عبر الحدود المصطنعة التى تفرق أقاليم العالم العربى بعضها عن بعض، كل ذلك يخلق نوعا من الإرث التاريخى الذى يقرب شعوب هذه الوحدات السياسية المختلفة بعضها إلى البعض ويخلق بينها تضامنا فى الشعور وتكاتفها فى الشدائد<sup>(١)</sup>.

ويظهرنا تاريخ الأمة العربية على أن العالم العربى قد عاش جُلَّ حياته فى «وحدة تاريخية شاملة بفضل النظرية السياسية الإسلامية»، وقد انهارت هذه الوحدة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى ودخول الدول الغربية المستعمرة إلى الشرق والغرب العربيين تحت صور الغزو والانتداب والحماية حتى كان دخول الصهيونية إلى أرض فلسطين العربية، وإقامة إسرائيل كقاعدة غربية استعمارية فى قلب العالم العربى لتكون كالثوكة فى رقبة من الحركة والتقدم<sup>(٢)</sup>.

وقد رأينا موقف الصحافة العربية فى مصر منذ وقعت تحت براثن الاحتلال البريطانى منذ سنة ١٨٨٢ عقب الثورة العرابية، ورغم أن أرض النيل كانت

(١) د. صلاح الدين عبدالوهاب: أضواء على المجتمع العربى ص ١٩.

(٢) نفسه ص ٣.

جزءاً من الدولة العثمانية قانوناً، إلا أن ظروفها الخاصة وأهمها: التقدم الحضارى وقوتها العسكرية اللذان اجتمعا لها على يد محمد على جعل هذه التبعية اسمية أكثر منها فعلية، فوضعها كان مختلفاً عن وضع جميع الأقاليم العربية الخاضعة للحكم العثماني، ولذلك فقد كان لها جهادها الخاص الذي قصدت منه إلى مقاومة الحكم التركي ثم الحكم الانجليزي من بعد.

يقول د. صلاح الدين عبد الوهاب: (١) وانشغال الزعماء المصريين بقضية مصر خاصة دون قضية العروبة بوجه عام، لا ينهض دليلاً على إنكارهم للعرب والعروبة، ولا يعنى فى جميع الأحوال وجود نزعة إقليمية أو عصبية لديهم، وإنما كانت نتيجة منطقية لما يقضى به الواقع العملى. فقد كان احتلال بريطانيا لمصر نكسة للنهضة التى كانت تحمل مصر مشعلها، وكان لابد لها من أن تتحرر من هذا الاستعمار حتى تعاود النهوض بنفسها، فإذا ما تم لها ذلك، أمكن أن تأخذ بيد غيرها من الأقاليم العربية التى تقع تحت سلطان الدولة العثمانية، فالاستعمار البريطانى كان أمراً دخيلاً وجهت كل العناصر الوطنية هجومها عليه لتخلص بالوطن لأبنائه، فما كان لديها وقت لتتشغل فيه بغير هذه القضية الوطنية، وبريطانيا فى مصر لم تكن تتصور أن تسمح باتصال العناصر الوطنية فيها بالعناصر الوطنية فى الأجزاء الأخرى من العالم العربى. فمنطق الاستعمار «فرق تسد» وهذا المنطق يحول بين إمكان التعاون بين العناصر الوطنية عبر الحدود السياسية المصطنعة.

وكانت العلاقات العربية العثمانية، تسير من سىء إلى أسوأ وخاصة بعد أن تنكرت الدولة العثمانى (تركيا) لمطالب العرب التى أعربوا عنها فى مؤتمر باريس. وما إن اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى حتى زادت من اقتناع العرب بأنه لا محيص عن الانفصال الكلى عن تركيا وتأسيس دولة عربية مستقلة.

(١) نفس المرجع ص ٨٠.

وقد بدأت الثورة العربية من الحجاز تحت زعامة الشريف حسين أمير الحجاز، ولكنها لم تكن ثورة حجازية. كانت عربية ترمى إلى استقلال الولايات العربية بأكملها وتكوين دولة عربية موحدة تنهض بالأمة نهضة تعيد إليها مجدها السالف. ولذلك فقد اشترك في هذه الثورة رجال من معظم الأقطار العربية، فكان فيها السوري والعراقي والحجازي واللبناني والفلسطيني كما كان بينهم المسلم والمسيحي. وقد ساعد على قيام هذه الثورة في الحجاز موقعها الجغرافي. فالحجاز بعيد عن عاصمة الدولة العثمانية ولا توجد بها قوات تركية كبيرة، كما أنها بعيدة عن طرق المواصلات، ولذا فإن من الصعب على الحكومة المركزية أن تسارع إلى إرسال النجذات لقمع الثورة هناك. هذا فضلا عن أن الحجاز كانت بها عشائر مسلحة كبيرة<sup>(١)</sup>.

ولم تقف جيوش الثورة عند حد إعلان العصيان على تركيا في الحجاز نفسها، إذ ما جاء شهر يونية ١٩١٦ حتى بدأت الثورة تتجه إلى الشمال معلنة انحيازها إلى الإنجليز (الحلفاء) كانت تركيا قد دخلت الحرب ضدهم مع ألمانيا. ولم يكن ذلك إلا بعد جملة مراسلات بين الشريف حسين ومكماهون الذي كان مندوبا ساميا لبريطانيا في مصر سميت بمراسلات حسين - مكماهون التي استثنت من الحدود المرسومة في «برتوكول دمشق» وهو الذي وضع الزعماء العرب في دمشق ومعهم فيصل بن الحسين ليكون أساسا للتحالف مع بريطانيا، مقاطعتي مرسين والإسكندرية وأقسامها من سوريا تقع إلى الغرب مما سماه متصرفيات دمشق وحمص وحماة وحلب، فهذا التعديل بدون الإضرار بمعاهدات بريطانيا مع الشيوخ العرب، وبدون الإضرار بمصالح فرنسا حليفة بريطانيا، تعهدت الحكومة البريطانية بأن «تعترف باستقلال العرب وتؤيده في جميع المناطق الواقعة ضمن الحدود التي طالب بها شريف مكة...».

على أن الشريف حسين وافق على استثناء مرسين فقط، ورفض الموافقة

(١) نفس المرجع ص ٨٢.

على استثناء شبر واحد من أراضي سوريا التي يقطنها العرب، ولو لم يكن جميع هؤلاء العرب من المسلمين إذ قال إنه «لا فرق بين عربي مسلم وعربي مسيحي فكلاهما أحفاد جد واحد»<sup>(١)</sup>.

وقد خلد لورانس هذه الثورة العربية في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» وكأنه يعبر عن رأى الانجليز: «أن هذه الثورة من صنعهم، ورغم أن معاهدة الانجليز الأدبية والعسكرية شجعت العرب على محاربة العثمانيين إلا أن هذه الثورة كانت عربية لحما ودما.

وقد توجت الثورة بنجاحها في دخول دمشق في أكتوبر ١٩١٨ فاهتزت أرجاء العالم العربي لهذا النصر لما لدمشق من أهمية خاصة في نفوس العرب.

وقوبل فيصل قائد الجيش العربي بالهتاف والأعلام، وأعلنت المدن السورية كلها انضمامها للثورة وإذعانها لأوامر القيادة العربية، واشتركت المدن اللبنانية أيضا في هذه الحركة حتى قامت الحكومة العربية في سوريا فى جو حماسى أكد لفكرة الوطنية العربية بالرسوخ<sup>(٢)</sup>.

أثناء كل ذلك لم تكن بريطانيا مخلصه للعرب حين ساندتهم ضد تركيا، وإنما كانت تعمل لصالحها هى ولصالح الدول الاستعمارية الأخرى. فقد وضعت مؤامرتين لتقسيم البلاد العربية التى انفصلت عن تركيا بغير علمهم.

فعددت بمدينة بطرسبورج الاتفاقية الأولى فى سرية تامة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا فى مارس سنة ١٩١٦ وهى تعرف باسم اتفاقية «سايكس بيكو» التى نصت على تقسيم غنائم الحرب من الدولة العثمانية بين الدول الثلاث.

أما روسيا فقد اختصت فى شوق الأناضول بالولايات الأربع المجاورة

---

(١) نفسه ص ٨٣.

(٢) نفسه ص ٨٤.

للحدود الروسية التركية التى تشكل أرمنية التركية، وكذلك بعض الأقاليم الواقعة بين البحر الأسود وإقليم الموصل - أراميا - ويبين من ذلك أن ما استولت عليه روسيا كان خارج العالم العربى .

واختصت فرنسا بالجزء الغربى من سوريا إلى جانب ولاية الموصل بما فى ذلك لبنان، ثم ولاية أطنة ومرسين، وكذلك منحت فرنسا منطقة نفوذ أخرى بداخل سوريا تشمل الموصل ودمشق وحمص وحماة وحلب<sup>(١)</sup>.

أما المجلترا فقد اجتزأت منطقة ما بين النهرين بما فى ذلك البصرة على الخليج العربى، ثم بغداد ثم داخلية العراق .

أما فلسطين فرغم مطالبة فرنسا بها على أساس أنها الجزء الجنوبى لسوريا، فقد قامت المجلترا بتدويلها مع الاحتفاظ لنفسها بحق الإشراف على مينائى حيفا وعكا على البحر الأبيض المتوسط . . وكذلك تضمن اتفاق سايكس - بيكو النص على إقامة دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربى تعترف به بريطانيا وفرنسا وتتعهد بحمايتها .

وهكذا يبين أن بريطانيا لم تراخ فى هذه الاتفاقية الواعدة التى سبق أن قطعتها على نفسها فى مراسلات الحسين - مكماهون ولم تعرف أسرار هذا الاتفاق السرى حتى أذاعته الحكومة الروسية البلشفية بعد قيام الثورة الماركسية فى نوفمبر ١٩١٧، وعندئذ فقط عرف العرب بالمؤامرة التى حاكها الانجليز .

أما المؤامرة الأخرى فقد ظهرت فى تصريح بلفور فى ٣ نوفمبر ١٩١٧ وفيه وعدت بريطانيا اليهود بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين العربية . وهذا التصريح جاء فى صورة خطاب مرسل من وزير الخارجية البريطانية لورد بلفور إلى لورد روتشيلد الصهيونى احتوى ما يلى من عبارات :

(١) نفس المرجع ص ٨٥ .

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية. على أنه يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى»<sup>(١)</sup>.

وعرف العرب أنهم ضحية تغرير بريطانيا فاحتجوا على هذا التصريح أشد الاحتجاج، وطلب الحسين تفسيراً من بريطانيا، فأرسلت إليه رسالة مطمئنة تقول فيها: إنها تضمن حرية السكان العرب السياسية والاقتصادية، وذلك خلافاً لوعده بلفور الذي لم يضمن لهم سوى الحرية المدنية والدينية.

وصدرت من أمريكا تأكيدات في هذا المعنى: إذ جاء في النقطة الثانية عشرة من النقاط الأربع عشرة التي أعلنها الرئيس الأمريكي ويلسون أمام الكونغرس الأمريكي في ٨ يناير ١٩١٨ «أن القوميات الأخرى التي تخضع الآن للحكم التركي يجب أن تظمن إلى حياة آمنة لاشك فيها وإلى الفرصة المطلقة في أن تنمو نمواً ذاتياً من غير إكراه» ثم أعلن في خطابه الذي ألقاه في ٤ يوليو من السنة نفسها «أن أساس أية تسوية تلي الحرب يجب أن تكون بموافقة الشعوب التي يعينها الأمر».. ثم عقد مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ وشهده ممثلاً عن العرب الأمير فيصل بن الحسين رئيساً للوفد الحجازي.

وهناك طالب باستقلال البلاد العربية، إلا أنه تكشف له نوايا بريطانيا السياسية وعرف أنها وفرنسا قد اتفقتا على تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بينهما<sup>(٢)</sup>.

وفي أبريل سنة ١٩٢٠ قرر مجلس الحلفاء الأعلى الذي انعقد في سان ريمو إعطاء بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين وشرق الأردن، وأعطيت فرنسا

(١) نفسه ص ٨٦. (٢) نفس المرجع ص ٨٧.

الانتداب على سوريا ولبنان، فكان هذا الانتداب قناعا قانونيا وراءه استعمار رهيب، لذلك تعرف سنة ١٩٢٠ بأنها النكبة على العالم العربي.

ويكفى تدليلا على ما ارتكبه الانجليز من تغريب العرب ما كتبه لورانس في مؤلفه أعمدة الحكمة السبعة: «إذا ربحتنا الحرب، فإن عهدتنا للعرب أوراق مية، غير أن الاندفاع العربي كان وسيلتنا الرئيسية فى كسب الحرب الشرقية، وعلى ذلك أكدت لهم أن بريطانيا تحافظ على كلمتها نضا وروحا فاطمأنوا إلى هذا القول وقاموا بالكثير من الأعمال العظيمة، ولكننى بالطبع بدلا من أن أكون فخورا بهذا الذى لعلناه معاً، كنت أشعر دائما بمبرارة الخجل...»<sup>(١)</sup>. ثم جرت بعد ذلك أحداث كثيرة فى العالم العربي إلى أن أراد الله للنور أن يبرز فقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التى أحدثت تغييرا جذريا فى الأوضاع التى يقوم عليها مجتمعنا العربي.

---

(١) نفس المرجع ص ٨٨.



## الفصل الثانى

### الوحدة والتنوع فى الصحافة الشعبية

وفى تقديرنا أن «أخبار الجبرتى» فى حضارة التدوين أقرب إلى الصحافة الشعبية؛ من «الوقائع المصرية» الصحيفة الرسمية التى أصدرها محمد على؛ كصحيفة رسمية؛ صدر أول عدد منها فى ١٥ رجب سنة ١٢٤٤هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٨٢٨، وبقيت الصحافة رسمية على هذا النحو طول عهد محمد على، فعباس، فسعيد، فإسماعيل - كما تقدم - وفى عهد الأخير ظهرت الصحافة الشعبية، حين أصدر عبدالله أفندى أبو السعود صحيفة «وادي النيل» ١٨٦٦م، مرتين فى كل أسبوع، و«نزهة الأفكار» ١٨٦٩م لصاحبها إبراهيم المولى وعثمان جلال، وكانت جريدة سياسية أسبوعية. وصحيفة «الأهرام» لصاحبها سليم تقيلا؛ وقد حصل على تصريح بها فى عام ١٨٧٥م. وجريدة «روضة الأخبار» ١٨٧٥، وجريدة «الوطن» ١٨٧٦م. وكانت كل صحيفة من هذه الصحف الشعبية تعنى عناية خاصة بالأخبار الاجتماعية. وتتفق كلها على نقد السياسة الإنجليزية.

إلى جانب هذه الصحف وجدت: جريدة مصر ١٨٧٦م، وجريدة المحروسة ١٨٨١، وجريدة العصر الجديد ١٨٨٨م.

وقد توالى الأحداث المصرية والعالمية، واصطلحت جميعاً على تقوية الصحافة الشعبية، رغم منعها، أول الأمر، من الخوض فى الموضوعات السياسية، إلى أن قامت الحرب الروسية التركية.

ثم ظهر السيد جمال الدين الأفغانى فجأة فى مصر، وقضى بها ست سنوات من مارس ١٨٧١م - إلى أغسطس ١٨٧٦م، كانت من خير أعوام حياته.

فعندما جاء إلى مصر كانت صحافتها ذات تاريخ تمتد إلى أوائل القرن التاسع عشر عندما صدر جرنال الخديو» ١٨٢٧م ثم صحيفة (الوقائع المصرية) فى ديسمبر ١٨٢٨م، وهما صحيفتان رسميتان. كما تقدم. ولم يكن إسماعيل ليطبق صحافة شعبية؛ فعندما حاول إبراهيم المويلحى وعثمان جلال إصدار مجلة (نزهة الأفكار) سنة ١٨٦٩م، لم يكن لها مجال يسمح باستمرارها، فقد اعتبرت «مهيجة للخواطر، ومثيرة للفتن» وألغيت بعد صدور العدد الثانى .

وقد شجع الأفغانى تلاميذه على إصدار الصحف وأخذ يغذيههم بروحه ويشجعهم بأفكاره، ومن هؤلاء: محمد عبده، أديب إسحق، المويلحى، سليم النقاش، إبراهيم اللقانى، سعد زغلول، وغيرهم .

وتظهرنا صورة الشيخ «محمد عبده» (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) على الأثر الإيجابى للصحافة فى الفكر المصرى الحديث، وهو الذى خطا بالمقال الصحفى خطوة كبيرة مبنى ومعنى، ويقف موقف الريادة من الجيل الجديد الذى ينهض بالصحافة المصرية فى الطور الثالث من تاريخها، ويتبنون اتجاهاته الإسلامية والوطنية. «المتأصلة الجذور فى تاريخ بلاده» واعتقاده أن الوحدة ضرورية فى الحياة السياسية، حتى لنذهب إلى أن الدور الذى قام به محمد عبده فى الصحافة المصرية يرتبط بنواح ثلاث هى: الإصلاح الدينى، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسى.

ونعتقد أن هذه النواحي الثلاث، هى مرتكزات الصورة الإيجابية للصحافة الوطنية العربية منذ جهادها ونشأتها فى العالم العربى، إلى اليوم .

إثر عودة محمد عبده من منفاه؛ قال عن أصول منهجه للإصلاح: «إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار. وقد عرضت عليه حين كنا فى باريس أن تترك السياسة، وأن نذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، فنعلم ونربى من نختار من التلاميذ على مشربنا، فلا تمضى عشر سنين إلا ويكون

عندنا التلاميذ الذين يتبعوننا في ترك أوطانهم والسير في الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فينتشر أحسن الانتشار؛ فقال: أنت مثبط!).

وسنراه رجل قوا، وعمل بلغ في كل منهما الذروة: يلي الوظائف الكبرى ويخوض فيها المعارك الضخمة، ويتعلم الفرنسية. ويفهم بكتاباته أخبار أوروبا وفلاسفتها أمثال هـ نوتو، ويكتب في الصحف. ويفسر القرآن، ويصب اللعنة على السياسة الإنجليزية وهو في العاصمة الإنجليزية. وسنراه الشيخ الكبير لمدارس المصلحين والسياسيين المصريين كافة، وفي طليعتهم سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩م، وأحمد لطفى السيد «أستاذ الجيل»، والشيخ والعلماء الأحرار في الأزهر، محمد مصطفى المراغى، ومصطفى عبدالرازق، وعلى سرور الزنكلونى، وعبدالمجيد سليم، ومحمود شلتوت، كما رأس وهو فى (الوقائع الرسمية)، سعد زغلول، وإبراهيم الهلباوى، ووفى زغلول، وعبدالكريم سليمان، وتعلمذ فى رياسته رؤساء الوزارات، سعد، وعدلى ورشدى، وثروت، ومحمد محمود، والزعيমান محمد فريد، وطلعت حرب والشيخان المراغى ومصطفى عبدالرازق.

وظل على ما بدأ به حياته فى عهد الطلب متقشفا زاهدا يقاوم الخرافات والجهالات فى كل موقع شغله أو اطلع على عيوبه أو استعان به أصحابه لإصلاحه»<sup>(١)</sup>.

يقول الأستاذ عبدالحليم الجندى:

ولما أصيبت مصر بكارثة الاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢م واجتمع عليها الحكم التركى يمثله الولاة من أبناء محمد على والاستعمار البريطانى، كتب عن محمد على - وحفيده الخديو عباس - حلمى الثانى على عرش مصر يحتفل بمرور مائة عام على تأسيس دولته .. فقال: (ماذا صنع محمد على؟ .. لم يستطع أن

(١) عبدالحليم الجندى: الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى، القاهرة، ص ١٩٧.

يحيى ولكن استطاع أن يميت! .. اشترأبت نفسه لأن يكون ملكاً غير خاضع  
للسلطان العثماني، فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب الأوروبيين  
فأوسع لهم في المجاملة!

وانقلب الوطني غريباً في داره غير مطمئن في قراره. فاجتمع على سكان  
البلد ذلآن: ذل ضربته الحكومة الاستبدادية، ومن رأيه أن الإصلاح عن طريق  
الدين أيسر من الإصلاح عن طريق مقياس المنفعة الذي اصطنعه الأوروبيون.

وقد آثر الشيخ محمد عبده بعد عودته إلى مصر من بيروت - حيث قضى  
ست سنوات في المنفى - أن يتبعد عن العمل السياسي المباشر، مفضلاً العمل  
في مجال التربية والتوجيه الديني، فقد كان من حيث مزاجه الشخصي وعقليته  
وثقافته مريباً وموجهاً أكثر منه سياسياً، فهو يحتضن الجانب الإسلامي تفكيراً  
وتعليماً وإحياءاً وليس معنى ذلك بحال من الأحوال أن محمد عبده كان يرى  
قصر الإسلام على ضمير الفرد على نحو ما أراد الصحفيون والكتاب الضالعون  
مع الاستعمار كما فعل السيد أحمد خان والقادياني في الهند، وكما حاولت  
البابية والبهائية أن تفعل في إيران<sup>(١)</sup>

ولم يتعد محمد عبده عن السياسة، إلا بعد تأكده من أن الزعيم مصطفى  
كامل كان يقود الحركة الوطنية بنجاح لمقاومة الاستعمار البريطاني، ومعتمداً  
على الله ثم خلق الوعى الإسلامى والوطنى، وكان مصطفى كامل يؤمن  
بأهمية التوجيه الدينى والتعليم الجامعى، ودور الإعلام والصحافة فى تهئية  
الرأى العام لتقبل اليقظة الإسلامية، وربط مصر بالعالم الإسلامى، وقد قامت  
كل من (المؤيد) التى أسسها الشيخ على يوسف فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩م،  
(اللواء) التى أنشأها مصطفى كامل فى أكتوبر سنة ١٩٠٠م بحمل راية اليقظة  
الإسلامية.

(١) د. إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامى ص ١٦٩.

وقد أثمرت الحركة الإسلامية ثمارا طيبة ناجحة، ذلك أن الحركة القومية المصرية برئاسة سعد زغلول قد نشأت فى أحضان الأزهر، واعتمد خطابها على منابر المساجد، كما اعتمد كتابها على الصحافة الإسلامية، وتأخت فى سبيلها كافة الطوائف عملى نحو ما تؤكد الحضارة الإسلامية التى تظل كافة الطوائف تحت لوائها وتحميهم فى كنفها<sup>(١)</sup>.

وكذلك كانت حركات الاستقلال فى الشام والعراق وفلسطين منبثقة من منطلقات إسلامية، حتى أن رمز الاستقلال والزعامة السياسية فى فلسطين كان شخص المفتى أمين الحسينى، كما صدرت المقاومة العربية ضد النفوذ الفرنسى فى سورية من الجامع الأموى فى دمشق، وكان زعماء الثورة الذين عرضوا صدورهم لنيران العدو الفرنسى الغاشم هم كتاب الصحافة الإسلامية.

ويؤكد الشيخ محمد عبده أهمية التوجيه التربوى الإسلامى بقوله (ليست القوانين التى تفرض العقوبات على الجرائم، وتقدر المغارم على المخالفات، هى التى تربي الأمم وتصلح شأنها، فإن القوانين لم توضع فى جميع أنحاء العالم إلا للجرائم والسقطات. وأما القوانين المصلحة فهى نواميس التربية المثالية).

كما يقول أيضا: (والسبب فى فقر البلاد عدم سريان روح التربية الشرعية العقلية، التى تجعل إحساس الإنسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع نفسه وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار ذاته، إن لم تقل: تجعل الإحساس الأول أقوى من الثانى وتزيد إحساس الإنسان بمنافعه ومضاره).

ثم يتساءل الشيخ محمد عبده: (ألم يأن لنا أن نرجع إلى المعروف عما كان عليه سلفنا، فنحيا بما كان قد أحياهم، ونترك ما ابتدعه أخلافهم مما أماتهم وأماتنا معهم؟)<sup>(٢)</sup>.

(١) نفس المرجع ص ١٦٩.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، ج ٢، ص ٤٩٦. د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١٧٠.

وقد ترك كل من جمال الدين الأفغاني - بعد وفاته سنة ١٨٩٧م في الأستانة، والشيخ محمد عبده - بعد وفاته بالقاهرة سنة ١٩٠٥م - ، أجيالا تتلمذت على مبادئهما ومقاومة التقليد ومكافحة الاستعمار الأجنبي، وبناء العالم العربي والإسلامي من خلال التعليم والتوجيه والإعلام والصحافة .

وقد اشتهر تلاميذ من هذه الحركة - فى الصحف العربية - علماء أفاض وزعماء شرعوا القلم فى وجوه الأعداء نذكر منهم: طاهر الجزائري، والقاسمى، والبيطار، وعبدالقادر المغربى، وكرد على، ورفيق العظم، وشكيب أرسلان، وطنطاوى جوهرى، وفريد وجدى، وإبراهيم اللقانى، والبارودى، وعبدالعزیز الثعالبي، والطاهر بن عاشور، وعبدالحميد بن باديس، ومحمد رشيد رضا .

### صحيفة: (المنار) :

وقد استطاع الشيخ محمد رشيد رضا أن يمضى قدما على الدرب الذى اختطه له أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده، وكانت مجلة (المنار) من أقوى الصحف الإسلامية التى دوى صيتها فى جميع أركان العالم الإسلامى . وقد صدرت (المنار) على هيئة جريدة فى ١٥ مارس سنة ١٨٩٨م ثم تحولت إلى مجلة شهرية ذات شأن عظيم . وعندما توفى صاحبها فى ٢ أغسطس سنة ١٩٣٥م كانت (المنار) قد دخلت فى عامها الخامس والثلاثين، وخير ما يمثل غاية هذه المجلة ويبين منهجها ورسالتها ما كتبه الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر بمناسبة عودة المجلة إلى الظهور، فقد قال<sup>(١)</sup> :

(كانت مجلة المنار مرجعاً من المراجع الإسلامية الغالية، تحل فيه مشكلات العقائد والفقهاء، وتحيط بالمسائل الاجتماعية والإسلامية وأخبار العالم الإسلامى، وما فيه من أحداث وأمراض وعلل، وكان صاحبها السيد رشيد

(١) د. إبراهيم إمام: نفس المرجع ص ١٧١.

رضاء، رحمه الله، عالماً غيروراً مخلصاً للإسلام، محباً لكتاب الله وسنة رسوله وأثار السلف الصالح، وقف حياته لخدمة دينه والأمم الإسلامية، وكان شجاعاً فى الحق لا يهاب أحداً، ولا يجامل ولا يحابى. ونشأ على هذا واستمر فيه، إلى أن لقي ربه).

وقد اتخذت المنار قول الرسول ﷺ: (إن للإسلام صوى ومناراً كمنار للطريق) شعاراً لها، أما غرض المنار فهو (إعداد الأمة لهذا التجدد، وأول رسائله بيان أمراض الأمة وأسبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون على المعالجة المطلوبة).

ويكتب الإمام محمد عبده عن المنار والاشتراك فيها فيقول: (الناس فى عماية عن النافع، وانكباب على الضار، فلا تعجب إذا لم يسرعوا بالاشتراك فى المنار، فإن الرغبة فى المنار تقوى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للأجل، وأعون على الخلاص من شر الغابر، ولا يزال ذلك الميل فى الأغنياء قليلاً، والفقراء لا يستطيعون إلى البذل سبيلاً، ولكن ذلك لا يضعف الأمل فى نجاح العمل والسلام).

### صحيفة (المؤيد):

(والمؤيد) من أهم الصحف المصرية التى ظهرت فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩م، وكان يحررها الشيخ على يوسف، ونالت صيتاً واسعاً وشهرة ذائعة، وكان صدورها لمواجهة صحيفة (المقطم) الضالعة مع الاحتلال البريطانى، والتى كان يصدرها ثلاثة من خريجي معاهد التبشير فى الشام وهم: يعقوب صروف، وشاهين مكاربوس، وفارس نمر.

ومن الكتاب الذين اشتركوا فى تحرير (المؤيد) الشيخ عبدالحميد الزهراوى، والشيخ حامد إبراهيم، ومحب الدين الخطيب الذى أصدر صحيفتى (الفتح)

و(الزهاء)، وعمر منصور، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومحمد مسعود،  
والشيخ عبدالقادر المغربى، وحافظ عوض، ومحمد كرد على، ومحمد أبو  
شادى، وغيرهم .

### عبدالرحمن الكواكبى:

بيد أن من أشهر الكتاب فى (المؤيد) عبدالرحمن الكواكبى، وهو سورى  
من حلب، وفد إلى مصر سنة ١٨٩٩م، وكان قد مارس الصحافة فى حلب  
فى صحيفة (فرات) الرسمية ثم فى صحيفة (الشهباء)، وصحيفة (الاعتدال)،  
ولقى فى مصر لفيماً من أصدقائهم، منهم طاهر الجزائرى، وعبدالحميد  
الزهاوى، وكرد على، وفى مقدمتهم محمد رشيد رضا الذى قدم له  
مساعداً كثيرة، وعرفه بالشيخ على يوسف، وأفسحت له (المؤيد) و(المنار)  
صفحاتها لنشر مقالاته .

ومن أشهر ما أصدره الكواكبى كتاب (طبائع الاستبداد) الذى صدر على  
شكل مقالات متتابعة فى جريدة (المؤيد)، وقد استهدف الكواكبى من هذا  
الكتاب أن يكون صحيفة مدوية توقظ النفوس وتحبى موات الهمم وتدفع  
الزعماء والمصلحين إلى الأخذ بيد الأمة الإسلامية والنهوض بها .

والكواكبى يكنى نفسه بالفراتى، ويقول: إن بعض أفاضل العلماء والسراة  
والكتاب السياسيين بحثوا الوسائل للنهضة الإسلامية، فأخذوا ينشرون آراءهم  
فى ذلك فى الجرائد الهندية والمصرية والسورية والتتارية، ويقول: إنه اطلع  
على كثير من مقالاتهم فى هذا الموضوع، وقلدهم فى نشر ما عن له، ثم بدا  
له أن يعمل على توسيع هذا السعى بعقد جمعية من سراة الإسلام فى مكة مهد  
الهداية فعقد العزم على إجراء سياحة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع  
الأفكار، وتهيئة الاجتماع فى موسم فريضة الحج .

فخرج من بلدته إحدى مدن الفرات فى أوائل المحرم سنة ١٣١٦هـ ثم سلك الطريق البحرى من إسكندرونة إلى بيروت فدمشق ويافا والقدس والإسكندرية، فمصر والسويس والحديدة فصنعاء وعدن والكويت، وحائل فالمدينة ومكة، ووصل إليها فى أوائل ذى القعدة، فوجد الأفاضل الذين اجتمع بهم فى البلاد قد أجابوا الدعوة عدا الأديب البيروتى، ثم سعى لاختيار اثنى عشر عضواً أضافهم إلى الأعضاء من مراكش وتونس والقسطنطينية وبغجة سراى وتفليس وتبريز وكابل وكشفر وقازان وبكين ودلهى وكلكتا ولقربول، ثم تخير داراً فى حى متطرف بمكة يعقد فيها الاجتماعات بصورة خفية.

وبلغ عدد المجتمعين - كما تخيلهم الكواكبى - ثلاثة وعشرين عضواً، بما فيهم السيد الفراتى الذى عهدت إليه كتابة محاضر الجلسات، وتولى رئاسة الاجتماعات العضو المكي على أساس أن المؤتمر عقد فى بلده واتخذه المجتمعون شعاراً: (لا نعبد إلا الله).

وتعاهدوا على الجهاد والأمانة.

ومع أن هذه القصة يخيل للقارىء أنها من نسج الخيال؛ إلا أن الكواكبى يقول إن لها أصلاً فى الحقيقة، وقوله هذا يزيد القصة إمتاعاً، ويدعم خيالها ما يدير فيها من حوار، وما يجعل بين يديها من مقدمة.

(وكل سبب من أسباب الأعضاء المتفرقين يعلّلون به ضعف المسلمين ينتهى إلى أن يكون سبباً من ناحية ونتيجة من ناحية أخرى، وكل عرض من أعراض الجمود يجرى به الدور والتسلسل على هذه الوتيرة، إلى أن تنتهى كلّها إلى سبب الأسباب فى عقيدة الكواكبى كما نفهمها فى ديدنه فى التفكير وليس هناك سبب لجميع الأسباب غير الحكومة السيئة أو الاستبداد)<sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٠٤.

وعندما دعا الرئيس، السيد الفراتي (الكواكبي) وهو سكرتير المؤتمر لتلخيص المحاضر قال: إن فتور المسلمين يرجع إلى أسباب دينية أهمها: عقيدة الجبر، ونشر ما يدعو إلى التزهيد في الدنيا، وترك السعى والعمل، وأسباب سياسية أهمها السياسة الخالية من المسؤولية، وحرمان الأمة حرية القول والعمل وأسباب خلقية مثل الاستغراق في الجهل، والارتياح إليه، واستيلاء اليأس على النفوس.

ووصل المؤتمر إلى أن المسلمين في حالة فتور عام ويجب تدارك هذا الفتور. وأن جرثومة الداء الجهل، والدواء تنوير الأفكار بالتعليم، وإيقاظ الشرق للترقي وخصوصاً في الناشئة، وتأسيس الجمعيات التي تقوم بهذا العلاج<sup>(١)</sup>.

### عبدالله النديم:

وحين نعود إلى صحافة مصر في القرن التاسع عشر الميلادي، نتوقف عند السيد عبدالله النديم، خطيب الثورة العربية. وقد تولى النديم مهمة الإعلام للحركة الوطنية والدعاية لها، وإرشاد «الشعب إلى الطريق الصحيح إليها». وكانت خطبه وصحيفته وسيلته في كشف الحجب التي أسدلت على عيون المصريين من مئات السنين، فلم يعودوا يعرفون من أمور أنفسهم ووطنهم شيئاً؛ وأخذ يوجه الشعب الوجهة الوطنية الصحيحة في عهده الجديد.

وكان النديم ملازماً لعرابي، يخطب في الوفود التي تأتي إليه؛ ويناقش الأعيان والوجهاء الذين يجتمعون كل مساء في منزل الزعيم؛ ويكتب مقالاً عنوانه: «وصية وطنية» يذكر المصريين بما لا قوه في الماضي من قتل وصلب، وجلد ونفى وسجن، ويحذرهم من الدول الطامعة فيهم، التي لا تحب لهم التقدم ولا العلم أو العدل، ويشجعهم ويثبت قلوبهم؛ ويدعوهم إلى عدم

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١٧٦.

الخوف من المدرعات التي وصلت إلى الإسكندرية لتهديد مصر، ويحدثهم عن الاستبداد الذي أفسد الأخلاق، وعن الممالك التي نالت حريتها بالجهاد والدماء، وعن الصلة بين مصر والخلافة العثمانية، وانتظام مصر في الهيئة الإسلامية الجامعة لكلمة الدين.

ولقد أصبح معروفاً في البلاد أن النديم هو «المتحدث بلسان ثورة الجيش، وأن جريدته تعبر عن سياسة الحركة العرابية؛ ولذلك طلب إليه الزعيم أحمد عرابي أن يطلق على جريدته اسماً جديداً هو (لسان الأمة)؛ بدلاً من (التنكيث والتبكيث)؛ لينطبق مفهومه على الوظيفة الجديدة، وأن يعلن رسمياً أنها جريدة الحركة العرابية، وجرت بينهما مفاوضات في هذا الشأن انتهت بأن أرسل عرابي إلى إدارة المطبوعات المصرية في ١٧ أكتوبر ١٨٨١م الخطاب التالي:

«لدخلونا في عصر جديد وفوت زمن (التنكيث) اقتضى تبديل جريدة (التنكيث والتبكيث) الأدبية التهذيبة، كما استقر عليه الرأي بالممارسة مع حضرة الفاضل عبدالله أفندي نديم محررها ومدير إدارتها باسم (لسان الأمة)، وأن يكون موضوعها سياسياً تهذيبياً للدفاع عن حقوق الأمة والمدافعة عن حقوق حكومتها.

«فلذا اقتضى ترقيمه لسعادتكم الأمل اعتبارها ومعرفتها بهذا العنوان الشريف والمشرب المنيف اعتباراً من عددها التاسع عشر». وكتب النديم معلقاً على كتاب عرابي يقول:

«بحمد الله تعالى تخلصنا من زمن «التنكيث والتبكيث» وأصبحنا في زمن الحرية ومعرفة الحقوق، وهذا الذي قضى علينا بتغيير اسم الجريدة ومشربها، فقد صيرناها سياسية سياسة ظاهرة، بعد أن كنا ندمجها في محاورات ودروس تهذيبة وجعلنا تطالب بحقوق الأمة وتدفع السنة الأعداء عنها».

ويرجح أستاذنا د. الحلدي؛ أن الاسم الجديد الذي اقترحه أحمد عرابي

للصحيفة لم يرق للنديم، والنديم - كما لقبه الأستاذ عباس العقاد: - ملك العنوانات. فأصدرها باسم (الطائف)، ونحن نذهب مع أحمد تيمور باشا في تعليقه لتسمية النديم للصحيفة باسم (الطائف) تيمناً بالطائف (في الحجاز) وتفاؤلاً بأنها تطوف البلاد كما جابتها (الجوائب) لأحمد فارس الشدياق<sup>(١)</sup>.

على أن اختيار النديم: (الطائف) اسماً لصحيفة الثورة العربية، يشير أيضاً إلى الدلالة التواصلية مع الجهاد في العالم العربي والإسلامي.

وسرعان ما احتلت جريدة (الطائف) المكانة الأولى من الصحف المصرية في ذلك الوقت الذي شهد صدور صحف: الأهرام، المفيد، الفسطاط، السفير، النجاح، المحروسة، العصر الجديد، الوقائع المصرية، البرهان. وقد نالت صحيفة (الطائف) من الرواج والشهرة ما لم تنله صحيفة قبلها من التأثير على الأفكار، وبلغت منزلة فاقت فيها الصحف المعاصرة لها. وبدأت الصحف الوطنية والأجنبية تعتبرها مصدراً موثوقاً به، وأخذت «تنقل عنها الأخبار وتعيد طبع كثير من تصريحات النديم ومقالاته»<sup>(٢)</sup>.

وكانت جريدة (الطائف) - كما يقول مستر بلنت - التي يحررها رجل حاد نابغ هو عبدالله النديم تحمل حملة شديدة على الحانات والمراقص والمغاني التي هجمت على القاهرة تحت حماية الامتيازات الأجنبية فاستاء منها كل عربي.

هذا جانب من جوانب صورة الجهاد من أجل التوحيد في مصر يتكامل مع ملحمة الجهاد في تاريخ الصحافة العربية في الوطن العربي.

### صحيفة الأستاذ:

وحين نصل إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، نلتقى

(١) أحمد تيمور: تراجم الأعيان ص ١٧.

(٢) د. علي الحديدي: عبدالله النديم، ص ١٦٤.

بصحيفة (الأستاذ) التي أصدرها السيد عبدالله النديم، ليصور صوت الضمير الوطني في مواجهة الاحتلال، وصحفه، ومؤيديه.

وصدرت صحيفة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢، وقد سبقتها إلى الصدور صحيفة الأهرام ١٨٧٥م، التي اعتمد عليها الوطنيون المصريون في جهادهم ضد الاحتلال، وصحيفة (المقطم) التي اعتمد عليها الاحتلال البريطاني، فأمدتها اللورد كرومر بالمال والأخبار والإعلان، عام ١٨٨٩م، وهي الصحيفة التي أوعز الإنجليز إلى أصحاب (المقطف) أن ينشئوها صحيفة يومية لتنافس (الأهرام) وتعارضها وتحمي المصالح البريطانية. وفكر الوطنيون في إنشاء صحيفة وطنية يكون في مقدورها مقاومة (المقطم) ومحاربة الاحتلال، فاجتمع لطيف باشا سليم الحجازي، وحسن باشا عاصم، وإبراهيم الهلباوي وغيرهم، واستقر رأيهم على أن يتولى حجازي باشا عرض فكرة إنشاء صحيفة على رياض باشا، تحارب الاحتلال وتعلن أخطائه وتنشئ الأجيال على كراهيته. ولم ير رئيس الحكومة مانعا يحول دون إنشاء (المؤيد) فصدرت في أول ديسمبر ١٨٨٩م لصاحبها (الشيخ على يوسف) وما لبثت أن أصبحت مجالا للأقلام الوطنية الناشئة، فكان مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين. وقد ذاع أمرها واشتد ساعدها، وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية في مقالات طويلة قد تبلغ الصفحة الأولى جميعا<sup>(١)</sup>.

وبجانب (المؤيد) صدرت صحيفة (الأستاذ) في ٢٣ أغسطس ١٨٩٢م للسيد عبدالله النديم، كما تقدم، وما لبثت أن احتجبت لأن الجرائد الإفرنجية في مصر وإنجلترا - كما يقول النديم - حملت عليه وادعت أنه متعصب للدين، عدو للأجانب. وقد برم بها اللورد كرومر فأمر بإغلاقها كما فرض على صاحبها مغادرة مصر.

(١) جريدة المؤيد في ٨ مارس ١٨٩٢م.

فى العام نفسه صدرت مجلة (الهلال) ١٨٩٢م، لصاحبها (جرجى زيدان) الذى اكتسب خبرته الأولى فى العمل (بالمقتطف) سنة ١٨٨٥م، وهاجر إلى القاهرة شأن أقرانه، ليؤسس مجلة ثقافية، تحمل اسم (الهلال) علماً عليها، ولكنه فى سبيل عمالة الأسرة (العلوية) فى مصر، تجنى على حقائق التاريخ، فنراه فى الجزء الثامن من السنة الأولى (أول إبريل ١٨٩٣م)، يصدر المجلة بصورة لمحمد على باشا (مؤسس العائلة الخديوية) فى باب (أشهر الحوادث وأعظم الرجال)، ونقرأ له هجومًا صريحًا على أنصار الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (ص ٢٧٩ - ٢٨٨)، ليبرر حملات (مؤسس الأسرة الخديوية) تبريرًا يثير مشاعر المسلمين، على النحو الذى جعل السيد رشيد رضا تلميذ الأستاذ الإمام محمد عبده، فى مجلة (المنار) ج ٢، يقول عنه فى سياق تعليقه على كتاب جرجى زيدان: (تاريخ التمدن الإسلامى). . «ولكن ظهر لنا مما كتبه بعد ذلك، ومن بعض حديثه معنا ومع غيرنا من أصحابه، أنه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتحاملون على العرب ويفضلون العجم عليهم».

وكان «رشيد رضا» من أشد معارضى زيدان، وهو مثله مهاجر من لبنان إلى مصر، وقد نشرت مجلة (المنار) هجومًا حادًا على زيدان كتبه الشيخ الهند شبلى النعمانى، اتهم فيه زيدان بالعداء للعرب والإسلام<sup>(١)</sup>.

وترتفع نغمة الخصومة والمركة بين النديم وبين الصحف غير الوطنية وعلى رأسها (المقطم)، فيكتب النديم تحت عنوان: «إنما يقبل النصيحة من وقف<sup>(٢)</sup> فيحذر المواطنين من الصحف التى تدعو إلى بذر بذور الفتى بين الأجناس الشرقية وتصلى وتعبد الأمم الأوربية» وإذا كنت فى مصر ورأيت من يميل لمس حق من حقوق أميرك المؤيد الخديو، ويوهمك أن صالحه موقوف على ذلك فارفض قوله وحذر قومك منه، فإنما هو خادع بل عدو مبین . . وما ضر الشرق وفرق جمعه إلا أمثال هؤلاء، فإنه تاجر يتجر ببيع الأوطان فى سبيل قمة أو ثوب أو مال<sup>(٣)</sup>.

(١) مصطفى نبيل: مقدمة؛ مصر والعالم سنة صدور الهلال.

(٢) الأستاذ ص ٢١٤.

(٣) الأستاذ ص ٢١٤.

ثم تزداد خطوط المعركة وضوحاً في مقاله: «لم تختلف كلمتنا إذا تحدثت وجهتنا؟»<sup>(١)</sup> فيكتب عن الصحف التي ادعت الوطنية وهي في الواقع تخدم الدول الأجنبية، فإذا بحث القراء تلك المواعظ وجدوها دخاناً صاعداً من خلال تراب ينذر باشتعال ما تحته من النيران.. هنالك يتبينون أن أفواه الكتاب ما انضمت إلا على نيوب صلُّ يتحين غفلة النائم ينهشه نهشة يسرى منها سمه في جميع الأعضاء.. هذه هي حال فريق من الجرائد في الشرق بين عربية وإفرنجية. ترى كل جريدة أنها إنما أنشئت لخدمة الشرق وأهله.. ثم يتبين من خلال عبارات بعضها ما تخدع به الشرقيين وتدعوهم إلى الاستسلام للدخيل»<sup>(٢)</sup>. ثم يضع الحدود الفاصلة بين الجرائد الوطنية الخالصة والصحف التي تدعو للاستعمار<sup>(٣)</sup>.

وتسوء العلاقات بين الصحفيين المصريين والنازحين من البلاد العربية الذين انضموا إلى الإنجليز يدافعون عن سياستهم، ويسميهم النديم (الأجراء)، وتشتد المعركة بين الصحف الوطنية الخالصة والصحف المناصرة لفرنسا من جهة، والمالية لإنجلترا، وعلى رأسها (المقطم) من جهة أخرى، ثم يعلن الحرب على المأجورين الذين يخدمون الأغراض الأجنبية في ثوب الوطنية. ويكتب عن النزلاء الذين أتوا مضر لكسب العيش فاستعانوا بالقوة الحاكمة فولوهم المناصب وأقصوا عنها المصريين وأعانوهم على سلب أموال المصريين وتجارتهم<sup>(٤)</sup>.

### لو كنتم مثلنا:

ويكتب النديم تحت عنوان: «لو كنتم مثلنا لفعلمت فعلنا»<sup>(٥)</sup>: «أنا أخوك فلم أنكرتني؟: ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد، يسوء الاثنين ما ساء

(٢) الأستاذ ص ٢١٤.

(١) الأستاذ ص ٢٦١.

(٣) د. على الحديدى: المرجع السابق ص ٣١٥.

(٤) نفس المرجع ص ٣٥٢ - الأستاذ ص ٣٨٥.

(٥) نفس المرجع ص ٣٥٣، الأستاذ ص ٥٠٠٧.

أحدهما، فلمَ تنافَرَ أبناؤهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وإن ساكنوهم في مصر؟ ألم يكن الأجدد بنا أن نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية في صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها؟ أتراتب قدره عشرون جنيهاً يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل جنسه ودينه؟ أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خدمة الأجنبي لنعينه على إخواننا لنتقم منهم بغير ذنب ويجنى على غير جان. . . ولو اجتمعت كلمتنا، وتوحدت وجهتنا، واثلتفت نفوسنا، وصفت بواطننا، وصرفنا هذه الهمم في وحدة الوطنيين، وإعلاء كلمة الجنس العربي، لحسدتنا المعالي ووقفت أوروبا تنظرنا بعين الإعظام والإجلال، ولكن قضت شقوة الشرقيين أن يكونوا كحطب النار يأكل بعضه بعضاً لينتفع الغير بنارهم. . . وأسفاه على رجال قضى آباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان لا يفرق بينهم دخيل ولا يقطعهم عن بعضهم أجنبي، فجاءوا من بعدهم وخالفوا سيرهم، وحالفوا غيرهم، وخدموا الأجنبي بمساعدته على التداخل في بلادهم، بل على الاستيلاء عليها، لا لعداوة بين الأمتين ولا لحرب جرت بين الوطنيين بل برغيف يحصله الزبال زخرفة يملكها الشحاذ.

«وإن قيل إن جامعة الدين<sup>(١)</sup> اضطرتهم، قلنا إن عز الاستقلال بالوطنية خير من الإذلال، فإن الأجنبي يغر الرجل منا حتى يصل به إلى غرضه، ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء، ولا يعرف له حقاً غير خدمته، ولا يفرق بينه وبين من غايره ديناً في الاستخدام والاستعباد. أنقول هذا وقتاً فنحصل فيه لذاتنا البدنية البهيمية ولا نبالي، جاء المستقبل على أهلنا وإخواننا بالعز أو بالهوان؟. بشس ما يختاره الرجل لنفسه من أن يطعم لقمته مغموسة في دمائه جنسه وإخوانه. . .»<sup>(٢)</sup>.

(١) يشير إلى أصحاب المقطم والمستعمرين، د. على الحديدي، المرجع السابق ص ٣٥٣.

(٢) نفس المرجع ص ٣٥٤.

وتحدت بمقالات النديم في (الأستاذ) المعارضة الصحفية القوية ضد الاحتلال، وأخذت الصحف الوطنية تحذو حذوه وتسير على نهجه وتتبع خطاه<sup>(١)</sup>.

رأى النديم تفكك الرأي العام وجهله نتيجة سياسة الاحتلال فكتب تحت عنوان: «طريقة الوصول إلى تكوين الرأي العام»، يطالب الكبراء والوزراء بأن يستقبلوا الناس ويعقدوا الاجتماعات، ويناقشوا الموضوعات الاجتماعية والسياسية، ومن الحسن أن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد، وقد أضيفت الكلمة إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٤﴾.

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣٥٥.

(٢) الكشف ٢ / ٩٨ - الحوفى: المرجع السابق. ص ٤٩.

(٣) الأنفال: ٥٦.

(٤) النحل: ١٢٧ - ١٢٨.



## الفصل الثالث

### المقاومة الصحفية ومفهوم «الوحدة»

كان للإحساس بالمقاومة وقر شديد في نفوس المصريين يحرك اتجاهاتهم الوطنية والسياسية، مما عرفناه جليا في سيرة الصحافة المصرية.

ذلك أن الثورة العرابية، التي تمثل فيها الرأي العام المصري الناشئ، جاءت نتيجة لهذا الظلم الذي ناء به المصريون وبعاد بينهم وبين الأسرة الحاكمة. أو بعبارة أدق، كان هذا الظلم أهم عامل حرك الرأي العام في ثورة، انتهت إلى المطالبة بحق الأمة في الدستور والحكم النيابي والمساواة التامة في الحقوق والواجبات، تلك المساواة التي «يكفلها الدستور كما يكفل العدالة للجميع أمام القانون»<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على هذا الفهم، يمكن القول إن الدوافع التي أدت إلى ظهور الرأي العام في مصر، كانت هي نفسها العوامل التي أدت إلى قيام الثورة العرابية، وأول هذه العوامل: «التدخل الأجنبي في مصر، الذي كان من آثاره ظهور المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية. وصندوق الدين. والمراقبة الثنائية. والوزارة الأوربية، وما إلى ذلك من الأحداث الهامة المعروفة في تاريخنا المصري الحديث، وهي الأحداث التي أثارت شعور المصريين، وأحفظتهم إلى حد بعيد وثاني هذه الدوافع: استبداد الحكم المصري منذ أيام محمد علي استبدادا قويا كان له أثره في نفوس الشعب في ذلك الوقت»<sup>(٢)</sup>.

**والثالث:** من هذه الدوافع: تلك الأزمة التي حدثت بين الخديو والباب العالي بسبب جفوة دبت بينهما، وذلك عندما رغب إسماعيل في الاستقلال عن تركيا. ففي أثناء هذه الأزمة طفق الباب العالي يندد بأعمال إسماعيل ويكيل

(١) نفس المرجع ص ٢١، ٢٢، لطفى السيد فيلسوف أيقظ أمة؛ هيئة الكتاب، السابق.

(٢) د. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفي في أدب محمد حسين هيكل، القاهرة، هيئة الكتاب.

ضده التهم الخطيرة. وقد استنبتت جريدة البروجريه الفرنسية من ذلك: «أن المصريين بدءوا يهتمون بالسياسة<sup>(١)</sup>، فإنهم بدءوا يترقبون الأخبار الواردة من الأستانة، ويعلقون عليها، وأن الرأي العام بدأ يتكون في مصر».

والرابع: من تلك الدوافع: الدستور الذي منحه السلطان عبدالحميد الثاني في تركيا، فقد شجع ذلك المصريين على المطالبة بمثل هذا الدستور<sup>(٢)</sup> على أن الحركة الدستورية في مصر لم تكن وليدة الظروف التي سادت إليها، وأولها الأزمة المالية والتدخل الأجنبي، بل أعمق جذوراً من ذلك، إذ ترجع إلى ظهور طبقة جديدة من الأعيان المصريين أتيج لها أن تشارك مشاركة محدودة في شئون البلاد عن طريق مجلس شورى النواب الذي كونه إسماعيل ليبدو في نظر الغرب حاكماً دستورياً مستتيراً، كما ترجع إلى حركة فكرية جديدة كان رائدها جمال الدين الأفغانى أسهمت بدورها في دفع هذا الرأي العام، وغذتها صحافة ناشئة نشطة وشباب مستنير أخذ يلتف حول داعية الشرق العظيم - كما تقدم - وكان لامتداد الموجة الغربية إلى مصر واتصال مصر بأوروبا وظهور طائفة من الشباب تعلم في الأزهر وفي المدارس الحديثة أثرها البعيد في ذلك، فقد أخذ هذا الشباب يعنى بشئون بلاده ويبرم بالسياسة العشوائية التي يسير عليها إسماعيل، ولا يجد متنفساً لإعلان سخطه على استبداده وجوره إلا في مجالسه وندواته الخاصة التي وجد الأفغانى فيها أعظم منتدى لأفكاره وتعاليمه.

وعلى ذلك يمكن القول إن التقاء التيار الأوربي بالتيار الشرقي إلى جانب هذه العوامل قد هياً الجو لظهور الرأي العام المصري، وتكوين العقل المصري الحديث. وهي كما يتضح نفس العوامل التي أدت إلى قيام الثورة العرابية لتعبر عن ذلك كله.

ونخلص من ذلك إلى أن هذه البيئة هي البيئة الفكرية والسياسية

(١) د. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفي في أدب طه حسين، القاهرة، هيئة الكتاب.

(٢) د. عبداللطيف حمزة: السابق ٣ ص ١٢ - نقلاً عن كتاب تاريخ العصر الحديث لمحمد صبري ص ١٤٤ - البروجريه ٢٥ / ١٢ / ١٨٦٩.

والاجتماعية الصالحة لظهور الفن الصحفى بوجه عام، وفن المقال الصحفى بوجه خاص.

ذلك أن أهم مظهر من مظاهر تلك البيئة هو ظهور الصحافة الشعبية الحقيقية، كما تقدم، وقد صدرت جريدة وادى النيل سنة ١٨٦٦ - فى نفس السنة التى أنشأ فيها إسماعيل مجلس شورى النواب - وكانت هذه الصحيفة شعبية من حيث الشكل فقط، ولعل إسماعيل قد أوحى بإصدارها إلى عبدالله أبى السعود لكى يحارب بها التدخل الأجنبى والدولة العثمانية، ولكى يظهر بالمظهر الأوروبى الذى كان يرنوا إليه. وأبلغ دليل على ذلك أنه لم يطق جريدة نزهة الأفكار لعثمان جلال وإبراهيم المويلحى فأغلقها بعد صدورها مباشرة سنة ١٨٦٩. وأما جريدة الأهرام الصادرة سنة ١٨٧٥، وجريدة مصر لأديب إسحق الصادرة بوحي من جمال الدين الأفغانى سنة ١٨٧٧، وجريدة التجارة لأديب إسحق وسليم نقاش الصادرة فى سنة ١٨٧٨، وجريدة التنكيت والتبكييت الصادرة سنة ١٨٨١ بقلم الصحفى الثائر عبدالله النديم - فهذه هى الصحف الشعبية الحقيقية التى فتحت صدرها لكتاب المقال الصحفى.

ومن ذلك - وعلى سبيل المثال لا الحصر - أن الدور العظيم الذى قام به محمد عبده فى التمهيد للثورة، كان من خلال مقالاته فى الأهرام. ولعل هذا ما حمل الخديو توفيق، عندما نفى الأفغانى من مصر، على أن يأمر محمد عبده بالإعتزال فى قريته التى لم يغادرها إلى القاهرة حتى ١٨٨٠، حين عينه رئيس الوزراء رياض باشا فى بادىء الأمر محرراً فى «الوقائع المصرية» ثم رئيساً لتحريرها. وخلال سنتى الأزمة اللاحقتين، لعب دوراً هاماً فى توجيه رأى العام بسلسلة من المقالات عن النظام الاجتماعى وخاصة عن التربية الوطنية<sup>(١)</sup> كما تقدم.

على أن ظهور هذه الصحف الشعبية بلغ بفن التحرير الصحفى شأواً بعيداً من الرقى والتقدم، فقد كانت تكتب باللغة العربية الفصحى، وكتب قليل منها

(١) حورانى: المرجع السابق ص ١٦٦.

باللغة العامية، التي يفهمها الشعب المصرى، وقد عنيت جميعا بترقية اللغة العربية، كما أدى لجوء بعض الصحفيين الوطنيين المطاردين من قبل السلطة فى مصر إلى فرنسا، إلى الكتابة بحرارة «أكثر، وتدفق أعظم، وحرية أوسع، فجاءت كتاباتهم فى خارج مصر أجل وأوقع وأقرب إلى النضج الصحفى والنضج الأدبى من كتاباتهم». وكان من هؤلاء الأستاذ الإمام محمد عبده، الذى اشترك مع أستاذه جمال الدين فى إصدار وتحرير «العروة الوثقى» من باريس، والتي «أزعجت الإنجليز»، فحاربوها ومنعوها من دخول الهند. كما اتجهت هذه الصحف الشعبية بالمقال الصحفى إلى أن يعبر بصدق عن «الرأى العام الشعبى» فى مواجهة «الرأى العام الرسمى» الذى عبرت عنه المجالس النيابية والحكومات المصرية.

### الأستاذ الإمام والعروة الوثقى (١)؛

وكان لهذه الصحيفة أهداف تنحصر فيما يلى :-

أولاً: إفهام الشرقيين جميع الواجبات التى كان التفريط فيها موجباً لسقوطهم، وبيان الطرق التى يسلكونها لإدراك ما فات.

ثانياً: إفهام الشرقيين كذلك أن الأمل فى النجاح قريب ولا داعى فى بلوغ ذلك إلى قطع دائرة عظيمة، تصورها يوجب الفتور ويحط من العزائم.

ثالثاً: دعوة المسلمين كافة إلى التمسك بالأصول التى كان عليها الآباء والأسلاف. فلا يصلح آخر هذا الأمر (يريد أمر الدين) إلا بما صلح به أوله.

والمثل الأعلى للمسلمين فى نظر العروة الوثقى هو ما كان عليه الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين.

رابعاً: إبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون فى مضمار الحياة ما داموا متمسكين بدينهم لأن دينهم فى نظر من لا يفهمونه من الأوربيين يدعو إلى التواكل.

(١) د. عبداللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ٤٧.

خامساً: تقوية الروابط بين الأمم الشرقية وتأييد المصالح المشتركة بينهم.  
سادساً: وصل الشرقيين بما يهمهم من الأخبار العامة والأخبار الخاصة.  
ووصلهم كذلك بسياسة الدول الأجنبية تجاه الشرق.

صرح الرجلان بأهداف الجريدة بهذه الطريقة الصريحة الجريئة، فسرت بين الشرقيين سريان البرق. وتنافسوا جميعاً في اقتنائها وتسايقوا كذلك في اعتناق أفكارها وآرائها. ونجحت الجريدة بالفعل في شفاء المسلمين من مرض (الوهم) الذي تسلط على نفوسهم وخيل إليهم أنهم أصبحوا لا يستحقون نعمة الحرية.

وفي مجال هذه الأفكار والآراء دارت مقالات الشيخ محمد عبده التي نشرها في العروة الوثقى، وحملت هذه المقالات طابع الدرس والشرح لجميع العلل التي أصابَت العالم الإسلامي في ذلك الوقت وكان من أخطر هذه العلل في نظر الشيخ سوء فهمهم (للعقيدة القضاء والقدر) - أو على الأصح - سوء فهم الأوروبيين لهذه العقيدة التي يعتنقها جمهور المسلمين، واعتقاد أولئك الأوروبيين أنها سبب في تأخر المسلمين ووقوعهم فريسة للاستعمار الأوروبي الذي زعم أنه يقودهم إلى العلم والحضارة.

قال الشيخ:

«الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد من شجاعة الجبر تتبعه صفة الجرأة والاقدام، وخلق الشجاعة والبسالة، ويبعث على اقتحام المهالك التي ترتجف لها قلوب الأسود وتنشق منها مرائر النمرور. هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره، ومقارعة الأهوال، ويحليها بحلى الجود والسخاء، ويدعوها إلى الخروج من كل ما يعز عليها. بل يحملها على بذل الأرواح والتخلي عن نضرة الحياة، كل هذا في سبيل الحق الذي دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة».

يقول الأستاذ عمر الدسوقي إن جريدة (العروة الوثقى): «دليل آخر على أن عزيمة السيد جمال الدين لا تفتقر، وعلى أن اليأس لم يبلغ في نفسه مبلغاً يثنيه عن أداء رسالته، وقد كان من رأى الشيخ محمد عبده أن هذا الجيل من المسلمين، الذن يدعونه للرشاد واليقظة جيل فاسد لا رجاء فيه، وأن الأولى أن تنشأ مدرسة يربى بها عدد محدود من خيار الشباب يقودون الأمة فيما بعد لما فيه خيرها ونفعها، ولكن هذه الفكرة لم ترق للسيد، ورأى فيها تثبيطاً للهمم، حتى ليبدو متعجباً كطف الثمرة لهذه الغراس التي أودعها المتصلين به، وأصر على أن يوجه الدعوة إلى الجيل الحاضر من الناس في صورة جريدة العروة الوثقى، يكون له فيها الفكر المدبر والعقل المسيطر، وللشيخ محمد عبده القلم المحرر واللسان المعبر، ولميرزا محمد باقر الترجمة من الصحف الأوربية، ونقل كل ما يهم الشرق والإسلام<sup>(١)</sup>: وصدر من الجريدة ثمانية عشر عدداً، كانت شعلة ملتهبة متوهجة من الحماسة والأراء الحرة الجريئة، وكانت حرباً شنها جمال الدين وزميلاه على الاستعمار الجشع؛ وكان طبيعياً أن يحاربها الاستعمار خشية أن تفسد عليه تفرده بالغنيمة وقتله الشعوب التي وقعت في قبضته، فمنعها من دخول الهند ومصر<sup>(٢)</sup>. ولما شعر السيد وزميلاه أن الأعداد لا تصل إلى أصحابها إلا في النادر، وأنه قد حيل بينهم وبين وصول صورتهم إلى آذان الناس في مصر والشرق عطلوها، وإن لم يمت أثرها حتى اليوم.

سماً الجريدة: (العروة الوثقى) لتكون لسان حال الجمعية السرية التي أسسها لتكون أداة من الأدوات القوية في أداء رسالتهما. فكانت الصحيفة الأولى في مادتها ولغتها ومعانيها ومراميها وقوة انتشارها، على ما كانت تحسب به من الرقابة الإنجليزية الواعية.

يعرف بالبداية أن هذه الجمعية السرية كانت تمد الجريدة مادياً بما تستطيع،

(١) تاريخ الإمام جـ ٢ ص ٢٢٩، والمار جـ ٨ ص ٢٥٥.

(٢) المار جـ ٢ ص ٤٦٢ ومشاهير الشرق جـ ٢ ص ٥٧. عمر الدسوقي: الأدب الحديث جـ ١ ص ٢٧٠.

كل على قدر طاقته، فصدر منها ثمانية عشر عددا، أولها فى الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٠١ هـ، وآخرها فى السادس والعشرين من ذى الحجة من العام نفسه.

وعلى هذه الأسس قامت جريدة (العروى الوثقى)، تنظر إلى العالم الإسلامى كله على أنه وحدة. . مع مراعاة جانب الشرقيين عموما. وقد قالت فى ذلك:

«بلغ الأبحاف بالشرقيين غايته، ووصل العدوان فيهم نهايته، وأدرك المتغلب عليهم نكايته، خصوصا فى المسلمين منهم، فمنهم ملوك أنزلوا عن عروشهم جورا، وذوو حقوق فى الأمرة حرموا حقوقهم ظلما، وأغزاء باتوا أذلاء، وأجلاء أصبحوا حقراء، وأغنياء أمسوا فقراء، وأصحاء أضحوا سقاما، وأسود تحولت أنعاما. .».

ثم تؤكد فى كل مناسبة أنها للشرقيين عامة. ومن ذلك قولها: «... عملها (الجريدة) سكب مياه النصح على لهيب الضغائن، لتتلاقى قلوب الشرقيين عموما على الصفاء والوداد. تلمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بنهم، ويأخذوا خذرمهم وأسلحتهم لدفع الضواري التى فغرت أفواهاها لالتهاهم».

ومن المعروف أن السيد جمال الدين الأفغانى لم يكن يكتب بسيد شيتا، وإنما كان يملى ما يريد إملاءه على من يكتب له. غير أنه فى (العروة الوثقى) كان يدرس فكرة كل مقال مع الشيخ محمد عبده إلى أن تستوى الدراسة وتنضج، ثم يترك للشيخ الكتابة وحده.

وصف الجريدة:

وقد كثر الواصفون للعروة الوثقى فى أيامها. ومن وصفوها حق وصفها الأمير شكيب أرسلان. وصفها فى معانيها، ووصفها فى أسلوبها.

قال في الوصف الاول :

وممان لو أوحيت لجماد

هزه الشوق نحوها والفرام

حبرت كل ذي حصاة إلى أن

قبيل لاثك إنها الهام

وقال في وصفها الثاني :

كلام إذا القينه في جماعة فدا

منك مثل اللؤلؤ الرطب ينسق

عليه من النور الإلهي مسحة

تكاد على أرجائه تنالق

١- روى السيد رشيد رضا أنه سمع من محمد بك على قوله :

«كنت في بغداد في عهد صدور العروة الوثقى، وكانت ترسل إلى الزعيم العربي الأكبر السيد سليمان الكيلاني نقيب السادة الأشراف، وكان يقول كلما جاءه عدد منها: يوشك أن تقع ثورة من تأثير هذه الجريدة، قبل أن يجيء العدد الذي بعد هذا:

٢- كما روى السيد رشيد أيضا - «سمعت أستاذنا الشيخ (حسن الجسر) - عالم سوربة الوحيد في الجمع بين العلوم الإسلامية، ومعرفة حالة العصر السياسة والمدنية - يقول:

(ما كان أحد يشك في أن جريدة العروة الوثقى ستحدث انقلابا عظيما في العالم الإسلامي لو طال عليها الزمن).

٣- ويقول لنا السيد رشيد رضا:

(والذي علمته عن نفسي بالخبرة، ومن غيرى بالخبر، ومن التاريخ، أنه لم

يوجد لكلام عربي في هذا العصر، ولا في قرون قبله ما كان لها (الجريدة) من إصابة مواقع الوجدان من القلب، والاقناع من العقل.

٤- ويحدثنا السيد عبدالقادر المغربي عضو مجمع اللغة العربية:

«... فالأفغانى وهبده كانا يريدان أن يكون لهؤلاء الضعفاء المسلمين - دولة قوية مع مراعاة تعاليم الإسلام، هذه الفكرة التى تلقفتها من العروة الوثقى اختمرت فى نفسى، واستولى سلطانها على شعورى وحسى، فأعطيت العروة كل وقتى، دراسة وتفهما».

هذه بعض أقوال المعاصرين للعروة الوثقى - فى تقديرهم لها، وفى أثرها فى نفوسهم، وما تركت فى ذلك أكثر مما ذكرت.

يقول الأستاذ حسن الشيخة:

«إن تعجب فعجب، أن يثور الإنجليز على جريدة كانت لم تظهر بعد. وكان من أمرهم فى ذلك أن مراسلى صحفهم فى باريس علموا أن جريدة للسيد الأفغانى والشيخ محمد عبده ستظهر فى هذه المدينة، فأخذوا ينقلون هذا الخبر إلى لندن وكأنه من الأخبار الدولية الهامة...! حاثين دولتهم على محاربة هذه النية من الرجلين، ولكن الله قدر للجريدة أن تظهر، وأن تنتشر، فترسل إلى مصر والهند والسودان والعراق وشمال إفريقيا وسورية والملايو، وغيرها، ولكن الإنجليز كانوا يتعقبونها خطوة خطوة - إلى أن حملوا مجلس وزراء مصر على أن يمنع دخولها. وقد جاء فى عددها التاسع (٢٥ رجب سنة ١٣٠١) الخبر الآتى:

«انعقد مجلس الوزراء بالقاهرة، واهتم بالبحث فى شأن (العروة الوثقى)، ثم أصدر قرار منع الجريدة من دخول الأقطار المصرية.

ثم أخذوا يقفلون الأبواب الأخرى فى وجهها، فمنعوا دخولها الهند والسودان، وكل بلد لهم نفوذ فيه، فلم يجد الرجلان العظيمان بدا من أن

يقفاها عن الصدور، وبذلك انتهت رسالتهما فى باريس، ثم افترقا إلى الأبد، ولم يلتقيا.

### لغة الجرائد واتجاه التجديد؛

على أن هذه المرحلة فى تاريخ الصحافة المصرية تشهد مولد اتجاه تجديدى قوى فى مواجهة الاتجاه الكلاسى القديم، يخط معالم جديدة للتطور، ويدفع النهضة إلى استلهاام التراث القديم فى عصور الازدهار ويعيد النظر فيه، ويوازن بينه وبين تراث الأمم الأخرى فى سياق المقاومة الوطنية، فحاولت جاهدة أن تتحرر من الأساليب التقليدية الموروثة، وأصبحت المدرسة التجديدية قادرة على استخدام فنون التحرير الصحفى بلغة هى مع ذلك «أصلح لكتابة الأدب أو الكتب منها لكتابة الصحف». وترتبط هذه المدرسة التجديدية فى بيئتها العامة، بدعوة السيد جمال الدين الأفغانى، ونشأة الحزب الوطنى الأول، وروح الثورة التى سبقت الثورة العراقية؛ وكان لهذه البيئة أثرها فى بلوغ المقال الصحفى «رقيا ظاهرا فى الموضوع، ورقيا أشد منه ظهوراً فى الأسلوب». فامتدت دوائر الاهتمام فى موضوع المقال لتشمل إلى جانب الاهتمام الأدبى أو الثقافى جوانب أخرى تتصل بالمجتمع، وبالأخلاق، وبالشورى وبالسياسة، وبالفتن الداخلية والخارجية. إلخ. كما ارتفع الأسلوب كثيرا عن المستوى الذى انتهت إليه المدرسة التقليدية الأولى، حيث تحللت هذه المدرسة التجديدية من قيود السجع إلى حد بعيد، وأخذت تقترب شيئا فشيئا من لغة الشعب<sup>(١)</sup>. وذلك بتأثير من الأستاذ محمد عبده وحركته الإصلاحية. الذى استطاع ومعه سعد زغلول وعبدالكريم سلمان «أن يكتبوا فصولا لا تخلو من آثار القديم، فيها السجع وفيها تكلف البديع والبيان، ولكنها بعيدة كل البعد عما كان يكتب فى أوائل القرن الماضى وفى منتصفه أيضا، فيها حرية لفظية ومعنوية ظاهرة، وفيها اختيار الحر من اللفظ واجتناب المتبذل، وفيها طموح إلى الجديد لم يكن يألّفه الكتاب المصريون من قبل». بحيث كان التقليديون

(١) الدكتور طه حسين: حافظ وشوقى ص ٧٠.

يقع أسلوبهم تحت وطأة التشبيه القديم والمثل الموروث، ولكنهم فى مواجهة التجديدين اتجهوا اتجاها كلاسيا جديدا يرجعون فيه «باللغة إلى ما قبل العصر العباسى، أو إلى عصور الصحة والسلامة والبراءة من الفساد والعجمة، ولكن هؤلاء الكتاب، ومنهم توفيق البكرى، غلبت على فنههم الأدوات الموروثة من عهد بعيد مما حدا بالاستاذ العقاد إلى أن يقول: «إن الصنعة أفسدت الطبيعة»<sup>(١)</sup> أما السجع فقد بدا يتراجع تحت وطأة الهجوم المستمر لكتاب العصر. ومن الطريف أن تجد كاتباً كالشدياق يهاجم السجع بقوله «السجع للمؤلف كالرجل من الخشب للماشى، فينبغى لى ألا أتوكأ عليه لنلا تضيق بى مذاهبه»<sup>(٢)</sup>. ولكنه يتمسك به فى كثير من مقالاته التى جمعها فى كتابه: «الساق على الساق». ومن الواضح أن الهجوم على السجع كان من جانب كتاب الصحف الذين اضطروا بحكم وسيلتهم إلى أن يتخلصوا منه، خاصة إذا كانت الكتابة تتعلق بالأخبار والأحداث<sup>(٣)</sup>. وفى مواجهة اتجاه التجديد، شحذ أصحاب المدرسة الكلاسية ثقافتهم اللغوية حرصاً على اللغة العربية وحماية لها من الحرية والتساهل والمحافظة على الأصول، والحملة على التجديدين من الكتاب الذين كانوا يضطرون أحيانا إلى استخدام ألفاظ ومصطلحات لم ترد فى متون اللغة. وذلك ما نراه عند إبراهيم اليازجى فى السنة الأولى من مجلته (الضياء) سنة ١٨٩٩، حين ينشر سلسلة مقالات فى لغة الجرائد، ثم فى السنة الثانية منها سلسلة أخرى فى أغلاط المؤلفين. وفى كلتا السلسلتين جرى مجرى الحريرى فى كتابه «درة الغواص» فكان يشدد فى نقده حتى ليمنع الصحيح إذا كان أضعف اللغتين. ومن قوله فى لغة الجرائد: «لا نزال نرى فى بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذت من منقول اللغة فأنزلت فى غير منازلها واستعملت فى غير معناها، فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك. والعجب أنك كثيراً ما ترى أناساً من مقدمى الكتاب يعتمدون أحيانا

(١) عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيناتهم ص ٦١.

(٢) الساق على الساق ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) الدكتور ماهر حسن فهمى: محمد توفيق البكرى - أعلام العرب فى ١٣٦.

التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من أصاغر أهل الصناعة، حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة يقتضى معجماً بحاله. ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه أن تفسد اللغة على أيدي أنصارها والموكول إليهم أمر إصلاحها، وهو الفساد الذى لا صلاح بعده، رأينا أن نفرّد لذلك هذا الفصل نذكر فيه أكثر تلك الألفاظ تداولاً وتنبه على ما فيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة<sup>(١)</sup>. ونحن لا ننكر على الكلاسيين غيرتهم على اللغة ولكننا نأخذ عليهم ما أخذَه الخفاجى على الحريرى من تقيدهم الحرفى أحياناً بظواهر النصوص أو رفضهم القياس والمجاز أو انحرافهم إلى مذهب دون مذهب، من مقتضيات لغة الاتصال بالجماهير. ولذلك يحرص الأستاذ الإمام على معالجة مشكلة الكتابة؛ التى أخذ عليها أن تكون «مغلقة» الألفاظ، غامضة المعانى، مختلة التراكيب، لا يقتدر المطالع على حل رموزها، ولا تمكن من فك طلسماتها إلا بعد أن يبجهد نفسه ويمعن الفكر، ويدقق النظر، ومع ذلك لا يخلو الحال من الخطأ فى فهم المقصود مما نواه الكاتب منهم<sup>(٢)</sup> واشترط لصحة الكتابة أن تكون سهلة العبارة واضحة المقصود، وإن كانت بالألفاظ الملوحة، وأن يكون موضوعها واحداً، خالية من التقييد والتطويل مما لا يحتاج إليه الكلام<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك يبين أن بدايات التجديد فى الصحافة العربية، قد انتشلت لغة الكتابة من وهدهتها، وبثت روح الحياة فيها، وإن ظلت الصحافة تكتب بطريقة أدبية عالية، مما جعل «الفاصل بين الصحف الأدبية والصحف الخبرية غير واضح تماماً فى هذا الجيل، لأن معظم المحررين، كانوا يكتبون بلغة أدبية<sup>(٤)</sup>، ولعل صدور الصحف اليومية قد عجل فى وضع هذا الفاصل، ولم يعد هناك متسع للتأنيق فى العبارة، وكان أسبق الصحف اليومية إلى الظهور «الوقائع

(١) لغة الجرائد. علم الإعلام اللغوى؛ مؤسسة لوغمان ومكتبة أبو الهول - القاهرة.

(٢) الوقائع المصرية: ١٠ ربيع الأول ١٢٩٨هـ.

(٣) نفسه.

(٤) الدكتور محمد فياض: الصحافة الأدبية ص ١٠.

المصرية» وقد تولى الأستاذ الإمام تحريره فى ١٩ أكتوبر ١٨٨٠ ثم تلاها فى الأهرام فى ٣ يناير ١٨٨١، وهنا نجد أن الأستاذ الإمام قد خطا بخطا بالتحريير الصحفى خطوة كبيرة، تجعلنا نتصور خطا فاصلا بين مدرستين أولاهما تقليدية والأخرى تخطو خطوات سريعة نحو التجديد، الأولى تعيش القرن التاسع عشر، والأخرى تستشرف مطلع القرن العشرين، وليس الأمر بالنسبة إلينا كذلك فقط، لأن الأستاذ الإمام يقف موقف الريادة من الجيل الجديد الذى ينهض بالمدرسة التجديدية فى مرحلة الجهاد الوطنى من مراحل الصحافة المصرية، والذى يرتبط بالبيئة الحديثة، التى فى تمثلها التيارين القديم والحديث جميعا، والتى تمثل كذلك اتجاهات الإمام الوطنية والتطورية والمصرية «التأصلة الجذور فى تقاليد بلاده»<sup>(١)</sup> منذ بشر بهذا العنصر القومى فى مقاله الأول بجريدة الأهرام عن الماضى العظيم لمصر<sup>(٢)</sup>، والذى تغذيه روابط التاريخ والمصالح المشتركة بين الذين يعيشون فى البلد الواحد رغم اختلاف الأديان، واعتقاده أن الوحدة ضرورية فى الحياة السياسية؛ وأن أقوى نوع من أنواع الوحدة القومية إنما هو وحدة الذين ينتمون إلى البلد الواحد، أى ذلك المكان الذى لا يعيشون فيه فحسب، بل يجدون فيه أيضا مجالا لممارسة حقوقهم وواجباتهم العامة وموضوعا لمحبتهم وعزتهم<sup>(٣)</sup>.

### محمد عبده والتحرير الصحفى:

وعلى ذلك فإن الدور الذى قام به الأستاذ الإمام بالنسبة للتحرير الصحفى يرتبط بنواح ثلاث: الإصلاح الدينى، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسى. أما الأمر الأول فهو أمر عظيم كما يصفه فى حياته: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى. . وأما الأمر الثانى فهو إصلاح أسلوب اللغة العربية فى التحرير: «وهناك أمر كنت ممن دعائه والناس جميعا فى بعد عن تعقله: ذلك

(١) ألبرت حوراني: مرجع سبق ص ١٩٢.

(٢، ٣) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ج ٢ ص ١٥ - ج ١ ص ٨.

هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب. وما للشعب من حق العدالة على الحكومة.

«جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس كلهم عبيد له أى عبيد».

هذه بعض جوانب الإصلاح التى نهض الأستاذ الإمام للعمل عليها وتحقيقتها، من خلال مذهبه الاجتماعى والإصلاحى. إذ النضج السياسى لديه لا يتم إلا بالتعليم وخاصة التعليم الاجتماعى والصحافة النزيهة وتربية القادة فى مجلس الشورى وأمثاله<sup>(١)</sup>. فمذهبه فى الصحافة الوطنية يعتمد على العقل لا العاطفة ومثله فى هذا لا ينجح «فى الدعاية السياسة التى تعتمد على الشعور وإلهاب العواطف»<sup>(٢)</sup>.

---

(٢. ١) محمد رشيد رضا: مرجع سابق جـ ١ ص ١١ - ١٢ الدكتور إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى ص ١٩٨.

الفصل الرابع

الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال

١٨٨٩.١٩١٤



## الفصل الرابع

### الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال (١٨٨٩-١٩١٤)

يرى الدارس لحركة المقاومة فى الصحافة المصرية أن العوامل التى طورت التحرير الصحفى عما كان عليه فى صحافة النشأة، وخلصته من المماحكات اللفظية قد اطرده نموه، وتضافت على توجيهه وجهة أخرى غير الوجهة التى رأيناها عند التقليديين فى صحافة النشأة الأولى. وخلاصة ما يقال فيها إن حركة التجديد فى الصحافة قد وليت حركة اليقظة فى أوجها عند الأستاذ الإمام، وسارت فى تواز مع مسار الحركة الوطنية. وقد أدت هذه العوامل إلى ظهور نوع جديد من أدب المقالة، وهو المقال السياسى. وقد برع الكتاب فى المطالبة باستقلال الشعب وإزاحة الاستعمار عن كاهل المصريين واتسعت دائرة المقالة وتعددت ألوانها فظهرت المقالة الأدبية والمقالة الاجتماعية والمقالة النقدية<sup>(١)</sup>. وليس من شك فى أن الصحافة صاحبة الحظ الوفور فى نشر الأدب والعلم وإنشاء النثر الحديث، ونعى بالصحافة، ما يذهب إليه طه حسين، من أنها الصحافة كلها يومية وأسبوعية وشهرية. وحسبنا أن نلاحظ مع الدكتور طه حسين أن الصحافة المصرية إن كانت قد بلغت من القوة فى هذه الأيام حظا موفورا، فهى بعد لم تستطع أن تتجاوز السياسة، وهى إن أثرت فى الأدب فمن طريق السياسة ومن السعى إلى السياسة<sup>(٢)</sup>، فأما الصحافة الأدبية والعلمية الخالصة، فإنها كما يذهب طه حسين، صحافة ترحب بضيوفها من المصريين وغير المصريين «وتجد فى تضييفها إياهم حياة وقوة».

#### الصحافة الوطنية وسياسة الاحتلال:

ساعد على فعالية المقاومة فى الصحف الوطنية تخطيط سياسة الاحتلال

(١) عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل ص ١٢.

(٢) الدكتور طه حسين: حافظ وشوقي ٦٨، ٦٩. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه

حسين، ص ٦٥.

الذى وضعه اللورد «دوفرين» وطبقه كرومر والذى تضمن: ترك شىء من الحرية النسبية للصحف تنفيساً عما قد يعن لمحريها من آراء وملاحظات قد تفيد منها سلطات الاحتلال - مع إغفال قانون المطبوعات. ويرى بعض المؤرخين الإنجليز أن التفاتة اللورد وجدت صداها وتحققت معانيها حتى أهمل قانون سنة ١٨٨١ إهمالاً تاماً ونالت مصر حرية صحفية لم تعرف فى شمال إفريقيا أو غرب آسيا»<sup>(١)</sup>.

### صحيفة المقطم:

وتحقيقاً لهذه السياسة ذهب كرومر إلى أن تكون للاحتلال صحف تؤيد بقاءه صراحة لا ضمناً وتدافع عن أعماله وترد على معارضيه؛ وفى مقدوره أن يؤيدها مادياً وأدياً، فأوعز إلى أصحاب «المقتطف» أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية، تعبر عن المصالح البريطانية كما كانت الأهرام تعبر عن المصالح الفرنسية. فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاربوس إلى إدارة المطبوعات فى ١٨ إبريل سنة ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء جريدة «المقطم»<sup>(٢)</sup>. كما تقدم.

ومضت صحيفة «المقطم» منذ صدوها تؤيد الاحتلال البريطانى وتشيد بسياسته وتدافع عن صنائعه من المصريين، وتنتهز كل مناسبة للنيل من الباب العالى. وفى ذلك تقول جريدة «الشعب» وهى تؤرخ للمقطم «إنه إنجليزى صرف وكل أعمال الحكومة ممدوحة لديه، وهو يترجم ويطلع تقارير المعتمد»<sup>(٣)</sup>. وأعلن المستر «بلنت» فى أوروبا «أن وزارتى الحربية والداخلية دفعنا لصحيفة المقطم مبلغاً من المال لتدافع عن تصرفات الإنجليز فيها». ولعل فى ذلك ما يبين موقف هذه الصحيفة من الحركة الوطنية حين عادت إلى الانتعاش بعد سنوات من الاحتلال، وهو موقف يتضح من هجومها على الوطنيين؛ وعلى الخديو عباس الثانى الذى أيد الوطنيين فى بداية حكمه<sup>(٤)</sup>.

(1) Young: Egypt PP. 150 - 151.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى ص ٢٢.

(٣) الشعب: فى ٨ مايو ١٩١٠ - الدكتور إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية ص ١٩٤.

(٤) الدكتور إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى ص ٢٢.

وتتسم هذه المرحلة (١٨٨٩ - ١٩١٤) بـ «الصراع» فى كل نواحي الحياة المصرية، وينعكس هذا الصراع بوضوح على مرآة الصحافة، على اعتبار بديهي وهو أن الصحافة مرآة عصرها وزمانها.

فلاحتلال البريطانى يجثم على قلب مصر: ويصدر صحيفة «المقطم» كما تقدم.

وكانت هذه الصحيفة لسانا إنجليزيا صرفا يقف فى وجه كل دعوة وطنية، وما أيسر عندها أن تصف الوطنيين بـ «الخونة» وعلى هذا المقياس يمكن رد جميع مواقف هذه الصحيفة من الحركات الوطنية فى هذه المرحلة، وطوال المدة التى صدرت فيها. فقد بدأت حياتها بمهاجمة العرابيين، وقد مزق موقفها من حادث دنشواى الشفانغ عن وجهها، فهى ترى أن فى هذا الحادث التاريخى «عارا ارتكبه رعاع من أسفل طبقة وتأبأها نفس كل مصرى وهى ضربهم الضباط بالعصى والطوب حتى جرحوهم وقتلوا واحدا منهم»<sup>(١)</sup>، ولم تأل المقطم جهدا فى الرد على كل ما يكتب عن بريطانيا والدفاع عن مصالحها فى مصر.

والواقع أن الصلة التى تربط المقطم بسلطات الاحتلال، لم تكن خافية على أحد، ولذلك كانت الجهات الحكومية تؤثرها على غيرها من الصحف، وبلغ الأمر بهذه الصحيفة أنها كانت تنشر أحيانا بعض الأحكام فى القضايا الوطنية قبل النطق بها بعدة أيام.

والصحف التى عاصرت المقطم لم تتجاهل هذه الصلة بين المقطم وسلطات الاحتلال.

### جريدة الوطن:

وشارك المقطم فى الدفاع عن الاحتلال جريدة «الوطن» التى استقبلت

(١) المقطم: عدد ١٩ يونيو ١٩٠٦.

الاحتلال بحماس شديد<sup>(١)</sup>، وحملت على قيادة الثورة المرابية فى شماتة يشوبها شىء غير قليل من التعصب الدينى<sup>(٢)</sup>.

وقد وصفتها جريدة «الشعب» الوطنية كذلك، بأنها «سياسية احتلالية أكثر من المقطم، حتى أن محررها كان يدعو الإنجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات الإنجليزية ورفع الراية عليها - ولا يخلو عدد من أعدادها من الطعن فى الوطنيين والمسلمين وإيلام عواطفهم، وهو أول من أحدث الشقاق بين المسلمين والاقباط<sup>(٣)</sup>».

وكما رحبت بالاحتلال البريطانى وهزيمة العربيين، هللت للحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤، وهى تحمد الله «لأننا خلصنا من تهوسات الفتية الذين كانوا يطلقون على أنفسهم اسم «الحزب الوطنى» والوطن برىء منهم، أولئك الذين كانوا يدعون فى الظاهر بأنهم يريدون استقلال مصر عن كل سيادة. وفى الباطن يعملون لتسليم مصر للأتراك غنيمة باردة. وإذا كان المصريون قد جنوا كل هذه الثمرات الطيبة والإنجليز محتلون احتلالاً مهدداً بالانقضاء فكم ينتظرون من آيات السعادة والإنجليز باقون هنا إلى الأبد<sup>(٣)</sup>».

### صحف التيار الوطنى:

وفى مقاومة تيار الصحف الممالئة للاحتلال الأجنبى ممثلاً فى (المقطم) اتجه الوطنيون، إلى إصدار الصحف المقاومة؛ وقد صادف هذا الاتجاه ترحيباً من الخديو عباس حلمى الذى اتجه إلى كسب تأييد الرأى العام، والوقوف فى وجه المعتمد البريطانى، والرد على مقتريات الصحف الأجنبية.

وصدرت فى هذه الفترة صحف كثيرة منها:

(١) الشعب: عدد ٨ مايو ١٩١٢.

(٢) راجع: د. أحمد حنين الصاوى: معالم تاريخ الصحافة المصرية - محاضرات بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٣.

(٣) الشعب: عدد ٨ مايو ١٩١٢.

- \* صحيفة المؤيد: للسيد على يوسف سنة ١٨٨٩.
- \* صحيفة الأستاذ: للسيد عبدالله النديم سنة ١٨٩٢.
- \* صحيفة المنار: للسيد رشيد رضا سنة ١٨٩٨.
- \* صحيفة اللواء: لمصطفى كامل سنة ١٩٠٠.
- \* صحيفة (الجريدة): لمحررها أحمد لطفى السيد سنة ١٩٠٧.
- \* صحيفة العلم: وهى لسان الحزب الوطنى سنة ١٩١٠.
- \* صحيفة الشعب: وهى لسان الحزب الوطنى كذلك سنة ١٩١٣.

### صحيفة المؤيد:

وصاحب هذه الصحيفة كما تقدم هو السيد على يوسف، كان شابا أزهري النشأة، ثم بدا له أن ينتقل من الأزهر إلى الحياة العامة. وإذا ذاك اختار لنفسه مهنة الصحافة.

وما لبث الوطنيون إثر صدور المقطم أن أحسوا بأن ثمة فراغا فى الحقل الصحفى يجب أن يُملأ، حتى يمكن مواجهة هذا الاستعمار الصحفى للبلاد وقد عبر بوضوح عن مطامع الاحتلال البريطانى، ولذلك اتفقوا على إصدار صحيفة تكون لسانا لهم، ومن ثم ظهرت صحيفة «المؤيد» اليومية فى نهاية عام ١٨٨٩.

ويمكن القول إن طرفى الصراع فى هذه الفترة هما الاحتلال البريطانى بصفحه من جهة، ومن جهة أخرى: الكفاح الوطنى للشعب المصرى، الذى ما لبث أن تمخض عن روافد ثلاثة، تشكل أطراف الحركة الوطنية التى نهضت فى مواجهة الاحتلال البريطانى والنفوذ الأجنبى.

وكانت صحيفة «المؤيد» ممثلة للرافد الأول من هذه الروافد الوطنية الثلاثة، وما لبثت معالم هذا التيار أن تحدت واتسمت بسمات مميزة له عن غيره.

## على يوسف وجريدة المؤيد:

يقول أستاذنا د. عبد اللطيف حمزة: (١).

فى الثامن من شهر ربيع الأول عام ١٣٠٧ للهجرة، الموافق لأول ديسمبر عام ١٨٨٩ للميلاد أصدر الشيخ على يوسف جريدته، «المؤيد». من أولى الجرائد اليومية فى الديار المصرية. وهى وإن سبقها إلى الظهور - فيما نعلم - جريدتان يوميتان، هما جريدة (الأهرام) التى صدرت عام ١٨٧٥ ودامت إلى عهد الثورة العربية، و(جريدة الطائف) لصاحبها السيد عبد الله النديم، لسان حال الثورة، فمن المحقق أن المؤيد هو أدم الجرائد اليومية فى مصر فى القرن الماضى، وأطولها عمراً، وأجلها خطراً، وأعظمها أثراً، وأرفعها منزلة.

والحق أن صدور جريدة يومية لها هذا الخطر يعتبر حادثاً هاماً فى تاريخ مصر الحديثة يستحق فى الواقع كل التفات واهتمام، وخاصة إذا كان قد أقدم على مثل هذا العمل الخطير شاب أزهرى فقير كعلى يوسف، كان لا يملك من الوسائل المادية أو المعنوية ما يؤهله لتحمل هذه التبعة التى تثقل كواهل العصابة أولى القوة. وقد مر بنا بعض الصعاب التى اعترضته فى طريقه، ولكنه تغلب عليها بوحدة فقط من صفاته؛ هى قوة العزيمة.

ونحن حين نستحضر فى أذهاننا صورة رجل نشيط كان يوماً ما مديراً لسياسة جريدة كبيرة كجريدة المؤيد، وحين نستحضر فى أذهاننا طوائف الرجال العظماء الذين كانوا يختلفون إلى إدارة هذه الجريدة يوماً بعد آخر، وحين نستحضر فى أذهاننا كذلك صورة لشتى الأحاديث القيمة التى كانت تدور فى إدارة الجريدة، وفى حضرة مديريها - نقول: حين نستحضر فى أذهاننا كل ذلك نعرف أى رجل ذلك الذى كان يلتقى فى مكتبه بكل هذه العقول على اختلافها، وتنصبُّ فى جريدته كل هذه الأفكار على تباينها. ثم جاءت جريدته صدى لجميع هذه الأفكار والآراء، وكان على مدير سياستها إذ ذاك عمل هام؛ هو إحداث

(١) أدت المقالة الصحفية ج٤ ص ٧٩ - ٩٠.

الإنسجام التام بين جميع هذه المواد، ثم تقديمها إلى جمهور القراء شرابا سائغا، وطعاما شهيا، بل معرضا جميلا لأثار العقل المصرى تارة، والعقل الشرقى تارة، والعقل الأوروبى تارة، والعقل الأمريكى فى بعض الأحيان.

ولقد عبر الخديو عباس فى مذكراته عن ذلك فقال:

«كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات العظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة. وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع، وبلاغته التى لا تغيض، وعاطفته التى كان يطامن من غلوائها - لحسن الحظ - فلسفة إنسانية فائقة قد غدا أستاذا بفضل اتصاله اليومى بالشخصيات البارزة فى كل علم وفن. وكان يتحدث إلى القراء فى مسائل تستثير مخيلاتهم، لأنها تمس مستقبل البلاد وتاريخها فى الوقت نفسه»<sup>(١)</sup>.

وفى الحديث عن الظروف التى نشأ فيها «المؤيد» يجمل بنا أن نلفت النظر أولا إلى أن الاحتلال البريطانى فى مصر استطاع بنفوذه وجبروته أن ينشئ له جريدة مصرية عربية تتحدث بلسانهى، وتعبّر عن آرائه واتجاهاته؛ وهى جريدة المقطم التى تم إنشاؤها عام ١٨٨٨. إذ ذاك عزّ على الوطنيين فى مصر أن يكون للاحتلال البريطانى فيها جريدة، ولا تكون لهم فى بلادهم مثل هذه الجريدة، وانتظر الناس يومئذ فى شوق وتلهف أن تصدر جريدة وطنية تناهض جريدة المقطم وتقف لها بالمرصاد. وحين أبدى الشيخ على يوسف رغبته فى إصدار جريدة «المؤيد» وجد معونة صادقة له من جانب الوطنيين جميعا. وفهم الشيخ على يوسف منذ أول الأمر ما على «المؤيد» من واجب نحو هذا الوطن المحتل، وأدرك هذا المعنى إدراكا حسنا وقام على تنفيذه كذلك بضمير يقظ.

وهكذا ظهرت جريدة «المؤيد» فى الوقت الصحيح، واختار لها القدر الرجل الصحيح، واتخذت لنفسها إذ ذاك المنهج الصحيح. وهذه كلها خطوات وفق

(١) راجع جريدة المصرى بتاريخ الأحد ١٣ مايو سنة ١٩٥١.

د. عبد اللطيف حمزة: المرجع نفسه ص ٢٥.

فيها صاحب «المؤيد» توفيقاً عاد بالخير والبركة عليه، كما عاد بالخير والبركة على أمته.

وافتح الشيخ على يوسف أول عدد من أعداد جريدة المؤيد بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أفتتح المقال بحمد من نسأله التأييد في القول والعمل، وأستهل ببراءة الشكر لمن في قوته أن يعصمنا في كل الأحوال من الخطأ والزلل. فله الحمد سبحانه خط قلمه في اللوح ما الكل عليه الآن، وما يكون وما كان، ونثنى بيمينون الصلوات على خير خلقه المبعوث إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، مؤيداً بالحق المبين، ذي القوة المتين، مدبر هذا العالم، ومبدع نظام الأمم في توجيه إرادة العمل إلى إظهار جريدة سياسية يومية تلزم منهج الحق أمام الخلق، وتنادى على منبر الأمة بصوت الذمة، تناجى القراء بلسان عربي مبين خدمة لأبناء الوطن وقياماً بواجبات بلاد نحن صور هيولاهما، وكنه حقيقة معناها.

أقول لك الأوطان وهي عبارة يفسرها ما قد حوته من الناس. وما لنا إلا نقوم بشعائر تطالبنا بها الاحساسات الطبيعية، والاحتياجات الوطنية، ودواعي الحياة المدنية والأدبية، وكمال التحقق بحقيقة وحدة الجامعة الجنسية. فنسألك اللهم أن ترشدنا إلى الخير ما أردنا وأحسن ما نريد؛ وأن تؤيدنا بعنايتك الصمدانية. فانك الفعال لما نريد؛ وأن توفقنا في تأدية حقوق الخدم، لتأمين زلة القدم وذلة السندم، ويامن إليك إنابة الضعفاء في السراء والضراء أنت حسبنا ونعم الوكيل.

**مقاصد المؤيد**

علمنا الدهر بمطالعة الأخبار، ووعظنا بغرائب الآثار، ودرينا بالإنذار والاعتبار، وجلا عن قلوبنا ظلمات الجهل، فأبان لنا أن أعمال السلف مدرسة

الخلف، نتلقى فيها أن خدمة الأوطان من أوجب الواجبات، وألزم الفرائض .  
من أضاعها قضت عليه شريعة الطبيعة بالحرمان الأبدى والشقاء الدائم .

فما قصدنا من نشر المؤيد إلا تأدية ذلك الفرض عن طهارة طوية، وإخلاص  
نية . وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ولكل عامل وجهة  
يقصدها، عليها يكون الجزاء . وليس فى عمل العاملين، وجدّ المجدّين أبرّ،  
ولا أفضل من نصيحة مستنصح، وإرشاد مسترشد . وما دام الكل فى حاجة  
إلى التعاون والمشاركة فلا غنى لهم عن تبادل الأفكار، ومعرفة الأخبار، مما  
يدعو إليه صلاح شأنهم . وقوام معيشتهم .

والناس رجلان: حاكم ومحكوم، وبينهما مطالب متبادلة، وحقوق  
متكافئة . إن سكّتها عنها صريح المقال أبان عنها لسان الحال . ووظيفة الجرائد  
الصادقة فى البلاد شرح مطالب الفريقين، وترجمة أفكار الهياتين .

والمؤيد جريدة وطنية يقصد أن تكون على هذا المبدأ سفير الخير، ويريد  
المطالب . وكما أنه سيشرح إحساسات الهيئة المحكومة مجتهداً فى إظهار ما  
بزواياها من خفايا الحاجات بين يدي الهيئة الحاكمة، وإن كانت هى أوسع  
علماء، وأصدق خبراً وأطول باعاً، وأدرى بطلائع الأوقات، وأعرف بمواقع  
الحاجات . فكذلك يبين للأمة ما يحسن فيه الطلب، وينال به الأرب، ويسمع  
به النداء ويقبل عنده الدعاء، ويكون به استجلاب المنافع، وفيه رفع المضار،  
غير ناكث عهداً، ولا خافر ذمة . وكيف ونحن بعض من نطالب بحاجاتهم،  
ونعمل للحصول على مرضاتهم . ومهما جدّ سوانا فى خدمتنا واجتهد، أو  
هجرت عينه الغمض فلا تقوم النافلة مقام الفرض، وليس من المروءة ألا نشارك  
من جاد علينا بخدمة الوطن، وندع نواظرننا لفتور الوسن .

فلا يسعنا إلا أن نقوم بهذا الواجب معترفين لمن سبقنا بما له من فضل  
السبق، وأحقية الشكر على ما أداه من الخدمة الجزيلة فى هذه البلاد .

فإليكم يا بنى مصر جريدة نشأت فى مهد الإخلاص حميدة المبدأ والغاية .

تتاجيكيم ولا تُسرّ النجوى لسواكم . وقد أخذت على عهدتها بث الأفكار المفيدة، والأخبار الصادقة، والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية، من الإعتبار والتحذير، أو الترويح والتبشير، لأن المسيل إلى اقتطاف الأخبار، والرغبة فى استطلاع ما يكون من الأفكار من ودائع الفطرة البشرية، غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية . بل من واجباتها البحث فى حقيقة الأسعار، ومبادلة التجار، والأخذ والعطاء، وحركات الأسواق، وهبوطها وصعودها، والنظر فى أسباب الارتفاع والانحطاط . ومن واجباتها نشر كل ما يهيم الوطن معرفته من الحوادث معتمدين فى ذلك على البرهان القوى، والسند الثبت، والعقل والنقل، وحكم الظروف واختلاف المقال، ورعاية المصلحة الوطنية، والخدمة الحقيقية، بعد التروى الصادق، والبحث المدقّق، وإرسال النظر خلف كل سانحة . ونسأل الله العالى الأعلى أن يكشف عن بصائرنا حجاب الإلباس فى الأشياء، حتى نرى الحقائق كما هى، كيلا نضل ونشقى . والسلام على من اتبع الهدى .

(إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

ومضى الشيخ يكتب فى جريدته ويفسح المجال معه لكبار المصريين والشرقيين فى وقت معاً، وما لبثت المؤيد أن أصبحت فى وقت قصير سجلاً لتاريخ مصر السياسى، وتاريخها الإدارى، وتاريخها العلمى، وتاريخها الاقتصادى .

ولكن عز على أعدائها يومئذ أن يروها تنمو وتزدهر، وتتير السبيل لكل من يريد العمل فى سبيل هذا الوطن، فوضعوا فى طريقها العقبات؛ وحاكوا لها المؤامرات أملاً فى القضاء عليها قبل أن تستأثر بحب الأمة، وتصبح جزءاً من كيانها، وعنصراً من عناصر وجودها، وعاملاً فى نهوضها من كبوة الاحتلال البريطانى .

ومن الصعاب التى واجهت الشيخ على يوسف فى مستهل حياته الصحفية،

وهى الصعوبة التى نجمت عن اختلافه مع شريكه أحمد ماضى ونريد أن نغضى معه فى ذكر الصعوبات التى تغلبت عليها إرادة الشيخ وهزمتها، وأفسحت الطريق لجريدته فلبثت تعمل فى الميدان الوطنى قرابة ربع قرن.

فالثانية: من تلك الصعاب، أنه اتصل بمسامع الخديو توفيق بعد صدور الجريدة أن «المؤيد» لسان حزب وطنى يعمل سراً على عزله عن العرش، كما عزل إسماعيل من قبل، فأوجس الأمير خيفة من هذه الصحيفة، وفكر فى قتلها وهى فى مهدها. ولكن المنية عاجلته، فمات فى العام الثالث فقط من حياة هذه الصحيفة.

والثالثة: من تلك الصعاب التى واجهت صاحب «المؤيد» أن الحكومة المصرية أصدرت أمراً منعت فيه جميع الدواوين الحكومية أن تمد المؤيد بمعلومات رسمية مهما كان نوعها. وكانت الحكومة المصرية مدفوعة إلى ذلك بوحي من الوكالة البريطانية التى نظرت إني جريدة المؤيد - بعد اجتيازه مرحلة الطفولة - على أنها جريدة وطنية مناهضة للسياسة البريطانية. فأرادت الوكالة يومئذ أن تفقد المؤيد قيمتها كصحيفة إخبارية، ليكون ذلك سبباً فى زوالها إلى الأبد.

والرابعة: من هذه المصاعب التى نشير إليها نظر الأجانب فى مصر والنزلاء والقناصل بها إلى هذه الجريدة على أنها نذير سوء، وعلى أنها كارثة حلت بالاحتلال الأجنبى فى مصر. وإذ ذاك لم يجد الأجانب ما يدخلون به على هذه الجريدة غير باب واحد؛ وهو باب التعصب الدينى الذى رموها به رمية بغير تبصر أو تعقل. وانبرت جريدة المؤيد تدافع عن نفسها، وعن المصريين معها ضد هذه التهم الخطيرة، حتى أصبحت بعد قليل من الزمن لسان الشعب المصرى.

والخامسة: من الصعاب: «قلم المطبوعات». وكان سيفاً مصلتاً على رقاب الصحف عامة، وصحيفة المؤيد خاصة. وكان يرأس هذا القلم إذا ذاك بعض

الأجانب. فكان هذا الأجنبي يقعد للمؤيد كل مرصد، ويقسو عليها كل قسوة، ويناقشها الحساب لأتفه الأسباب.

وكان صاحب المؤيد قد عارض معارضة قوية فى إصدار قانون المطبوعات الجديد.

والسادسة: من تلك المصاعب خوف الباب العالى شر هذه الجريدة. وقد كان السلطان - يخاف كل شىء، بل يخاف على حد تعبير المتنبي غير شىء. ومنذ أن علم بأمر هذه الجريدة الوطنية الجديدة فكر فى إعادة التجربة التى جربت أيام سعيد، حين بعث السلطان يومئذ إلى القاهرة برجل يقال له (اسكندر افندى شهلوب) ليقوم فيها بنشر جريدة (السلطنة). وقد بعث السلطان فى هذه المرة (بحسن باشا حسنى) من الآستانة إلى القاهرة ليتولى فيها إصدار جريدة (النيل) لا لشىء إلا للمحاربة المؤيد وصاحبه فى ذلك الحين. ولكن مصير جريدة النيل لم يكن خيراً من مصير جريدة السلطنة. فقد سقطت الجريدة الأخيرة كما سقطت سابقتها فى مجال الصحافة. وهكذا حبط عمل السلطان، وبقيت «المؤيد» وحدها تملأ الميدان؛ والشعب المصرى من ورائها يؤيدها بكل قوته.

والسابعة: من هذه الصعاب: قضية التلغراف وغيرها من القضايا التى شغلت بال رأى العام، وهى القضايا التى كان يقف فيها الشعب المصرى فى جانب، وتقف السلطات الانجليزية نفسها فى جانب آخر، وكان الظفر فيها غالباً للشعب المصرى على الغاصب الأجنبى. وكانت «المؤيد» مسرحاً لقصة هذا الجهاد الطويل الذى كان على المصريين أن يبذلوه فى سبيل التخلص من عار الاحتلال البريطانى.

يقول د. عبداللطيف حمزة:

«الحق - لقد كانت كل واحدة من هذه الصعاب خليقة بأن ترد الشيخ عن عزمته، أو تهى من قوته، أو تعود بالأذى الحقيقى بل التعطيل الأبدى لجريدته. ولكن شيئاً من ذلك لم يكن. وبقيت «المؤيد» - كما قلنا - مؤيدة من

الله ومن الشعب المصرى الذى آثرها بحبه، وحاطها برعايته. بل بقيت المؤيد معرضاً لأقلام الكثيرين من صفوة المصريين، ومدرسة عالية يتعلمون فيها دروساً فى السياسة والكتابة. ومن هذه الصفوة - على سبيل المثال - قاسم أمين، وسعد زغلول، وعبد السلام ذهنى، وتوفيق البكرى، وأحمد تيمور، وإبراهيم الهلباوى، والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى، وذلك الشاب الذى كان بعد طالباً فى مدرسة الحقوق؛ وهو مصطفى كامل وغيرهم. كما كان يكتب فيها من غير المصريين الأستاذ كرد على، والمستشرق ا. ميجو والشيخ عبد القادر المغربى والآخر من أصدقاء الشيخ محمد عبده وتلاميذه منذ كان الإمام فى بلاد الشام مدة من الزمان.

ولا ننسى كذلك أنه كان من محررى المؤيد كاتب اشتهر عن طريق هذه الجريدة شهرة كبيرة؛ وهو الشيخ عبد الحميد الزهراوى وكثيرون غيره من كتاب الشام والمغرب وسائر الأقطار الشرقية الإسلامية.

وأخذت (المؤيد) تنمو وتزداد، حتى أصابت من ذلك حظاً لم يحلم به صاحبها. فقد بلغ مجموع النسخ التى طبعت من المؤيد فى السنة الأولى ثمانمائة، وفى الثانية مائتين وألفاً. وفى الثالثة ألفين. وبقيت على ذلك فى السنتين الرابعة والخامسة. ثم فى السادسة بلغت ألفين وثمانمائة. وفى السنة السابعة أربعة آلاف. واستمرت على ذلك حتى شهر أغسطس سنة ١٨٩٦م. ثم ما كادت تظهر القضية التى سنشير إليها - وهى قضية التلغرافات - حتى كان متوسط ما يطبع من المؤيد يومياً ستة آلاف نسخة. أما ما كان يطبع فى أيام المرافعات فكان يتراوح بين عشرة آلاف نسخة وإثنى عشر ألف نسخة، وهو ما لم تصل إليه جريدة ما فى مصر والبلدان العربية إلى ذلك الوقت<sup>(١)</sup>.

أخذت «المؤيد» على عاتقها منذ بداية الأمر أن تعالج على صفحاتها وبأقلام أولئك الكتاب موضوعات شتى:

(١) راجع فى ذلك: إلياس زاخورة فى كتابه (مرآة العصر) السابق الذكر.  
د. عبد اللطيف حمزة: السابق، ٢٥.

منها: الموضوعات الوطنية، كموضوع الأمة والحكومة، وموضوع السخرة، وموضوع الاحتلال العام، وموضوع الأمن القومي وغير ذلك. ومنها الموضوعات الأدبية كموضوعات الترف، والعدل، وقيمة الوقت، والتمدن، وأسباب التقدم، والإصلاح الخلقى، ومنها الموضوعات الإدارية كهيئة الحكومة المصرية، وكالتقارير والقوانين والمشروعات والتعديلات التى تصدرها الحكومة ومنها: الموضوعات القضائية وما يتصل بالمحاكم المصرية على اختلافها والأحكام التى تصدر عنها، والاقتراحات التى تريد أن تدخلها على القانون لتعديله، مع الإشارة إلى بعض القضايا الشهيرة الخ.

ومنها الموضوعات العلمية والتعليمية كموضوع التربية والتعليم فى مصر، وكالتقارير التى يكتبها رجال التعليم من مثل عبد الله (باشا) فكرى وغيره. مع العناية بأخبار المؤتمرات الهامة، كمؤتمر برلين الطبى ونحو ذلك.

ولقد كانت المؤيد تعنى عناية كبيرة بأخبار الدولة العلية وبانجلترا، فكتبت فى موضوع الجلاء وكانت تهتم اهتماماً خاصاً بتقارير المعتمد البريطانى.

وكانت المؤيد تقصر بعض جهودها على السودان، فكتبت فى العلاقة بينه وبين مصر، وأخذت تنادى باسترجاع هذا القطر، وتكتب عن رحلات ستانلى فى السودان.

على أن جريدة المؤيد لم تكن تغفل إلى جانب ذلك كله أمر القارة الأفريقية: فكتبت عن الحبشة مع إيطاليا، وعن روسيا وإيطاليا فى الحبشة، وعن المستعمرات الأوروبية فى داخل القارة الأفريقية، وعن زنجبار ومراكش.

أما المقالات السياسية الخالصة فكانت تحتل مكانها الممتاز فى صحيفة المؤيد. إلى جانب السياسة المصرية الانجليزية، وفى مجال السياسة الدولية تكتب (المؤيد) عن (الدول والسلام) وأخرى وعن (منظر أوروبا السياسى) وعن (انكلترا ومستعمراتها) ورابعة وعن (الدول العظيمة فى الشرق) وعن (إمكان

نزع السلاح)، عن (سمارك)، وعن (السياسة الاستعمارية فى أوربا) بوجه عام وهكذا.

وأخيراً لم تخل صحيفة المؤيد من باب هام، هو باب (التراجم) وفيه قدمت الصحيفة للقراء صوراً عن عظماء الرجال فى مصر وبلاد أوروبا. وعن ترجمت لهم هذه الصحيفة فى عامها الأول من رجالات مصر: عبد الله (باشا) فكرى، وشفيق (بك) منصور، ومحمد بيرم التونسى<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا النحو سارت (المؤيد) اليومية سبع عشرة سنة كاملة. حتى إذا كان عام ١٩٠٦ وجدنا هذه الصحيفة الوطنية الشهيرة - وقد توطد مركزها فى مصر، وبلغت من الشهرة حدّاً لم تصبه جريدة وطنية من قبل - تظهر فى ثوب جديد، وتبدأ طوراً جديداً. ويتحدث صاحبها عنها فيقول:

### المؤيد فى طوره الجديد:

ظهر المؤيد اليوم لحضرات قرائه فى طور جديد إذ يروونه فى حجم أكبر، وشكل أظهر، ومادة أغزر.

ولما كان الشئ بالشئ يذكر فقد عن لنا أن نرجع بالقارئ إلى ذكرى أطوار المؤيد من يوم نشأ إلى هذا اليوم الذى يخطو فيه للأمام خطوة جديدة.

قبل سبعة عشر عاما هجرية وبضعة أشهر، وفى أواخر سنة ١٨٨٩ أفرنجية كان صاحب الجريدة يصدر صحيفة أدبية أسبوعية باسم (الأداب). وكان كثيرون من القراء يعجبون بها، ويلتذون من قراءتها. فكانت همته منصرفة يومئذ إلى تحسينها وجعلها أفيد مما هى عليه. ولم يكن يفكر فى إصدار صحيفة سياسية يومية للأسباب الآتية:

فقد سنحت لى فرصة بعد ذلك قدمت فيها إلى دولة الوزير الجليل رياض (باشا) وكان يومئذ رئيس الوزارة المصرية فى عهد المغفور له الخديوى السابق توفيق (باشا) فأشار على بعض المقربين من دولته أن أسترحص منه إصدار

(١) راجع انتخابات المؤيد السنة الأولى سنة ١٨٩٠ المجلد الأول. د. عبداللطيف حمزة: السابق ص ٧٥.

جريدة سياسية يومية . ولكنى ترددت كثيراً فى ذلك لعلمى أن جريدة يومية سياسية . تصدر من مصرى مسلم بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين ، جريدة قادرة على أن تعيش بين الصحف القوية التى كانت قابضة إذ ذاك على أميال القراء اختصاراً أو اضطراراً ، جريدة لا تتأثر بدسائس الدسائس ووشايات الواشين من الأوروبيين وغير الأوروبيين - تحتاج إلى رأس مال أكثر من مالى ، وإلى حول أكبر من حولى ، وإلى معارف جمّة ، ووسائل عدة ، أنا خلو من كثير منها<sup>(١)</sup> .

ولكن وجد دافع قوى لى بعد ذلك من استحسان دولة الوزير أو إشارته . فتقدمت إلى نظارة الداخلية مسترخصاً بهذه الجريدة . وفى اليوم الذى التمت فيه الرخصة نلتها ، وظهر العدد الأول من المؤيد فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ (أول ديسمبر سنة ١٨٨٩) فى حجم أربع صحف قليلة المواد ، كما يرى القراء نسخته المنقولة برمتها فى الصحيفة الرابعة من عدد اليوم . وحسبهم قارقاً بين ما نشأ عليه وما صار إليه أن يروا العدد الأول كما هو فى صفحة واحدة من صحفه الثمان .

سار المؤيد فى طوره الأول الجديد كالوليد يأخذ كل يوم من الوجود حصته ، ومن مكانه بقدر حركته . وبينما هو يحبو حبو الطفل فى مهده إذ عصفت به ريح خبيثة من مكائد مناظريه الذين كانوا يخشون أن تعيش جريدة مصرية لمسلم ، فيستحوذ على أميال المصريين وعواطفهم . وقانون التنازع فى هذه الحياة يجعل النصال أشد فى زحزة الغير عن مكانه من هذا الوجود ، سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

جاءت هذه الرياح من حيث تعصف الرياح بكل عمل يحتاج إلى التأزر فى أمة لم يفهم فيها تماماً معنى التضامن فى الأعمال من حيث هو ، ولم تتم فى نفوس أفرادها ملكة حب الارتفاق كما ينبغى . ودب ديب الخلف بين مدير المؤيد (وكان المرحوم الشيخ أحمد ماضى) وبين صاحب امتيازه كاتب هذه

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٥ .

السطور، بسبب ما دس أولئك الدساسون. وليس من حق هذا القلم الآن أن يزيد في التفصيل إكراما لرفات صديق في عالم آخر غير هذا العالم. ولكن نتج عن هذا الخلف احتجاب المؤيد عن قرائه وقتئذ من ٣٠ سبتمبر إلى ٢ نوفمبر من سنة ١٨٩١. وكانت اليد الحاسمة لهذا الخلف هي يد ذلك الغيور المفضل سعد (بك) زغلول (وكان وقتئذ محامياً) إذ اختاره الشريك المرحوم حكما للفصل في مواضع النزاع. فانتهى حكمه بترك المؤيد لصاحب امتيازته بعد ما أرضى محكمته بمال من عنده ومن آخرين من فضلاء الشبيبة المصرية. ويومئذ خاطبني سعد (بك) زغلول قائلاً:

لقد صار لك المؤيد بلا منازع، فإن كنت كفوفاً لعملك فاجعل من همتك ووثاتك فيه رأس مالك، وبرهن على ثقة إخوانك بك.

وكانت هذه الكلمات أشد تأثيراً على نفسى من كل مشجع ومرغّب في عمل.

ظهر المؤيد بعد ذلك الاحتجاب، وكنت خالياً من رأس مال له سوى القلم والصبر والاحتمال. وكانت رئاسة النظار يومئذ في يد عطو فتلو مصطفى فهمي (باشا). والدسائس ضد المؤيد أقوى منها قبل. وقد هال أعداءه ظهوره ثانياً، فوشوا إلى الحكومة أن هناك جمعية سرية ذات مقاصد خفية أخذت على نفسها الإنفاق على المؤيد، والكتابة فيه ضد الحكومة والاحتلال، وكادت ربح الشر تؤذى أولئك الأفاضل الذين مدوا يد المساعدة بالشكل الذى شرحناه للمؤيد وصاحبه، لولا أن مقرباً من الوكالة الانكليزية، ومن عطوفة رئيس النظار (ونعنى به المرحوم محمد بك بيرم) تولى يومئذ تحقيق تلك الوشايات بنفسه، فظهرت له الحقيقة التى شرحناها. وانتهى الأمر بمقابلة حضرة سعد (بك) زغلول لعطوفة رئيس النظار ليدحض بالبراهين القاطعة تلك الدسائس البالغة، وقد كان ذلك، ووثق الرئيس بالحقيقة التى شرحها كل الثقة، وأعجب بفضلته وشمائله، وشكره على خالص غيرته.

ومن ذلك اليوم استمرت صلة حضرة البك بعطوفة الباشا إلى أن صارت على أكمل وجوها، كما يعرف القراء .

وجد للمؤيد من ذلك الحين أنصار، كما وجد له حساد وأعداء . وكلما ازداد هؤلاء كثر أولئك . وأنا بين هذه الجوازب والدوافع أعمل جهدى لكى يثبت المؤيد ويعيش، فلا يكون العار على المصرى أن يسجل عليه الغش كلما شرع فى عمل . ثم وجد بعد ذلك اضطهاداً من الحكومة، ظهر بأقبح مظاهره، حتى وصل إلى حد إقفال أبواب الدواوين فى وجه صاحبه وكتابه ومخبريه . ولم يتته هذا الدور حتى جاءت وزارة دولة رياض (باشا) فى يناير سنة ١٨٩٣ ويومئذ ألقى عمل (قلم المطبوعات) الذى أنشئ لمضايقة المؤيد ليس إلا، يوم كانت وظيفة البارون دى مالورتى مدير قلم المطبوعات محصورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه فى كل ديوان؛ يحاكم هذا ويطرد ذاك من المستخدمين الذين كانوا يتهمون بإعطائنا الأخبار . فلما تولى الوزارة دولة رياض (باشا) منحه إجازة لم يعد بعدها إلى العمل، وخلص المؤيد من عوامل الاضطهاد الشديدة التى كادت تقضى عليه، واستمر فى طريقه ينمو حتى كانت فى سنة ١٨٩٦ قضية التلغرافات المشهورة التى لم تنته حتى بلغ المؤيد بفضل إقبال الأمة عليه أضعاف ما كان عليه قوة وانتشاراً . ولا يزال بفضل الله عز وجل وبمؤازرة الفضلاء من الكتاب، وبإقبال القراء عليه فى المزيد إلى أن بلغ هذا الطور الجديد .

فالقراء يعلمون من مجمل هذا التاريخ أن اليد الأولى فى ظروف إصدار جريدة المؤيد كانت لدولة الوزير الجليل رياض (باشا) . وأن اليد الثانية فى خلاصة من الورطة التى سقط فيها سنة ١٨٩١ كانت لحضرة المفضل سعد (بك) زغلول، والذين اشتركوا فى تلك المبرة معه . وأن اليد الثالثة التى تجلئ بها فى مظهرها الفخيم سنة ١٨٩٦ كانت للأمة . وهو لا يزال فى ظلها الظليل .

أما صاحب هذه الجريدة فلا يعتبر نفسه إلا عاملاً بسيطاً لظهور الجريدة كبقية

العمال الذين يشتغلون لصدورها من محرر وصاف حروف وطابع . وكفاه فخراً أن بقية العمال يتغيرون ، وهو عامل مستمر إلى ما شاء الله أن يكون كذلك .

وتبع هذا النمو فى الانتشار والترقى على الاستمرار اختلاف الآلات التى يطبع بها المؤيد . فىوم كان عدد مشتركه لا يتجاوزون ستمائة نسخة ، وعدد ما يباع منه لا يتجاوز الستين فى القاهرة كانت الآلة التى يطبع بها صغيرة تدار باليد الواحدة ، وتطبع بالكبس ، ولا يزيد ما يطبع فى الساعة على مائة نسخة . وكان هذا شأنه فى الستين الأوليين . ثم ازداد عدد ما يطبع منه رويداً رويداً حتى كان فى آخر سنته الرابعة ألفاً وأربعمائة نسخة ، فاضطررنا إلى شراء آلة من معمل (ألوزيه) وهى التى تدار باليدين معاً ، وتطبع بكابس اسطوانى إلى ستمائة نسخة فى الساعة الواحدة . وكان هذا من ١٦ يناير سنة ١٨٩٤ حيث ظهر المؤيد فى أربع صحائف كما كان ، ونكن فى كل صحيفة ستة أعمدة .

ثم تضاعف الانتشار حتى بلغ عدد ما يطبع منه خمسة آلاف ، وكثرت المواد والاعلانات عليه حتى اضطررنا إلى جلب مطبعة ألمانية كبرى تطبع بكابسين اسطوانيين ، وتدار بالبخار . فظهر المؤيد فى ثمان صحائف من ١٦ يوليو سنة ١٨٩٩ .

وقد ذكرنا فى ذلك العدد ما يأتى بحروفه :

أصدرنا الجريدة منذ اليوم فى ثمان صفحات طبقاً لرغبات جمهور القراء . ونسأل الله تعالى أن يوفقنا دائماً لخدمة الأمة ، ويمدنا بمعونه لنزيد فى مواد وصفحات الجريدة كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

ونحن اليوم نشكر الله عز وجل على أن تضاعف انتشار الجريدة ، وأن وفقنا بطبعها على آلة طبع من أحسن طراز أخير من اختراع الخواجة (ماريتونى) الفرنساوى المشهور باختراعاته المطبعية . ولما كانت هذه أول مطبعة من نوعها أوصى بها من مصر ، وجلبت إليها ، وثيلاً عملها منذ اليوم ، فقد دعونا

الكثيرين من حضرات العلماء والذوات والأعيان لتشريف إدارة الجريدة وقت الشروع فى الطبع . وهذا نص الدعوة التى وزعناها لذلك :

«بمشيئة الله تعالى سنبدىء من يوم الثلاثاء ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ فى طبع جريدتنا المؤيد على نمط جديد، وفى حىجم أكبر بواسطة آلة الطبع الكهربائية (روتاتيف) التى تطبع بواسطة صناعة جديدة غير الحروف المعتادة، وتنجز فى الساعة الواحدة طبع اثنى عشر ألف نسخة من الجريدة ذات التمان صحف، مقطوعة، ملصوقة. مطوية، معدودة. فندعو... لتشرفوا إدارة الجريدة فى الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم المذكور لتشهدوا إدارة هذه الآلة البديعة لأول مرة فى مصر، ولكم جزيل الشكر، تحريراً فى ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤ .

على يوسف

منذ ذلك الوقت اتخذت «المؤيد» شكلاً جديداً، وأخذت تظهر للقراء (جريدة يومية سياسية تجارية) فى ثمان صفحات. وكان مقر مطبعتها بشارع محمد على بالقاهرة، وكانت تحتوى دائماً على عشر مواد، وربما زادت أحياناً إلى اثنتى عشرة. وكانت خمس - على الأقل - من هذه المواد تتجدد بتجدد الأفكار التى تهتم صاحب الجريدة، وأما السباقى من هذه المواد فمرتبة فى أبواب تعادها الجريدة كل يوم.

خذ لذلك مثلاً - العدد رقم ٥٠٠٤ وقد صدر بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ فإنه يتبدىء هكذا:

فهرس:

رأى جريدة الغازيت فى كفاءة المصريين.

ما هى الحكومة النيابية؟

أطوار المسألة الشرقية.

استئناف النيابة.

التمثيل العربى .

أخبار بريد أوروبا .

مكاتب .

الحوادث .

التلغرافات .

إعلانات قضائية وتجارية .

فالمواد الخمس الأولى مواد متجددة . والمواد الخمس الأخيرة يجدها القارىء عادة فى كل عدد، وربما أضيفت إليها مادة بعنوان (الإسكندرية) يؤتى فيها بأخبار هذه المدينة وأحوالها وأحياناً تضاف إليها كذلك مادة أخرى بعنوان (انتقاد) تشمل عرضاً سريعاً لبعض المؤلفات الحديثة والترجمات والمجلات، وتشمل نقداً لها .

والقارىء إذ يلقى نظرة عجلية إلى الأعداد اليومية التى صدرت فى أثناء هذه السنة - ونعنى بها سنة ١٩٠٦ - يستطيع أن يفرق بين موضوعات صحفية يطرقها الكاتب ثم لا يعود إليها مرة ثانية، وأخرى يطرقها الكاتب مراراً ويعالجها معالجة دقيقة قوية مفصلة .

ولا شك أن (المقالة الإفتاحية) فى المؤيد كانت أهم مادة فيه . وكثيراً ما كان يكتبها السيد على يوسف بنفسه . وكثيراً ما يتركها لكاتب غيره، وربما كان هذا الكاتب أحد محررى المؤيد . وربما كان موضوع المقال فى هذه الحالة الأخيرة صفحة من تاريخ رجل عظيم كنبليون، أو اقتراحاً هاماً فى إصلاح الأزهر، أو التعليم بالمدارس الحديثة، أو كلمة مترجمة عن الفرنسية أو الإنجليزية لكاتب أجنبى له شهرة فى عالم الفكر أو السياسة، أو تقريراً صحفياً لبعض المصريين ممن زاروا لندن وغيرها من العواصم الأوروبية، واشتغلوا هناك بدرس المسألة

المصرية، وأحبوا أن ينقلوا للقراء صورة من فهم الأورويين في بلادهم لهذه المسألة<sup>(١)</sup>.

منذ فكر السيد على يوسف فى إنشاء «المؤيد» وهو يصادف طائفة من المصاعب كانت كل واحدة منها كفيفة بإسقاطه لولا صفات خاصة فى الرجل - هى تلك الصفات التى أشاد بها الأستاذ «تشارلز آدمز». ومن تلك الصعوبات صعوبة آتته من «قلم المطبوعات»، وكان على رأسه إذ ذاك موظف إنجليزى، ومن ثم كانت للمؤيد قضايا مشهورة فى تاريخ الصحافة من أهمها<sup>(٢)</sup>:  
**قضية التلغرافات**<sup>(٣)</sup>.

فى شهر مايو سنة ١٨٩٦ أصدرت نظارة الحربية أمرا بعدم إعطاء المؤيد أية معلومات عن الحملة المصرية على دنقلة، فوقع السيد على يوسف فى حيرة شديدة: أ يضرب صفحا عن أبناء هذه الحملة مع أن أبناءها تهم الشعب، وجنود الحملة هم أبناء هذا الشعب؟ أم يفعل هذا الرجل كل ما يستطيع حتى يصل إلى ما يريد؟

وفى ٢٦ من شهر يولية سنة ١٨٩٦ - والساعة الثانية بعد الظهر - أخذ موظفو مكتب تلغراف الأزبكية يتلقون إشارة برقية من السردار بالسودان إلى ناظر الحربية بالقاهرة انتهوا منها فى العاشرة والنصف مساء وفى التلغراف يعتذر السردار عن تأخيرته فى الاتصال بالقاهرة بسبب الكوليرا التى تفشت فى الجيش، وكان لها إصابات كثيرة.

ثم فى يوم ٢٨ من يوليو فوجئ ناظر الحربية بنشر هذا التلغراف برمته فى صحيفة المؤيد، فهاج لذلك وهاجت معه السلطات الإنجليزية!

وتوالت على مكتب التلغراف بالأزبكية برقيات من هذا النوع ينشرها المؤيد كاملة فى اليوم التالى. إذ ذاك فكر اللورد كرومر فى حيلة يسوق بها السيد

(١) د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٩٥.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ٧٨.

(٣) نفس المرجع ص ٧٩.

على يوسف إلى المحاكمة، وذكر كرومر أن القانون العام يعاقب الموظف الذى يعمل على إفشاء أسرار الحكومة، وعلى هذا ففى وسع كرومر أن يقدم الموظف المسئول فى مكتب التلغراف بالأزبكية إلى المحاكمة بهذه التهمة، وفى وسعه كذلك أن يقدم معه السيد على يوسف بتهمة الاشتراك فى هذه الجريمة.

وسئل السيد على يوسف فى المحكمة عن المصدر الذى اعتمد عليه فى هذه البرقيات؟ فأجاب بأن سر المهنة يحول دون تصريحه بشيء من ذلك؛ لذلك عجزت النيابة عن أن تعلق له تهمة يعاقب عليها.

ثم فى يوم النطق بالحكم احتشدت الجماهير فى ساحة المحكمة حتى لم يكن فيها موضع لقدم واحدة، وتوافد الناس من الأقاليم ليشهدوا بأنفسهم ذلك اليوم، حتى لقد ضاقت بهم فنادق القاهرة.

ثم فى يوم ١٨ من شهر نوفمبر صدر الحكم ببراءة السيد على يوسف فهتفت له الجموع، وصفقت له وهللت، وأقبل بعضهم يهنيء بعضها بهذا الحكم، ثم انشالوا على صاحب المؤيد فحملوه على الأعناق وخرجوا به من ساحة المحكمة، وكان يوماً مشهوداً فى تاريخ الشعب المصرى، انتصر فيه انتصاراً باهراً على اللورد كرومر.

### **صحيفة اللواء: مصطفى كامل؛**

لهذه الصحيفة فى الحقيقة من اسمها نصيب كبير، فهى التى حملت لواء الحركة الوطنية، وبقيت تحمل هذا اللواء حتى بعد وفاة صاحبها الزعيم الشاب مصطفى كامل، ولقد صدر العدد الأول من هذه الصحيفة يوم الثلاثاء ١٩٠٠، وقد رسمت الصحيفة لنفسها إذ ذاك برنامجاً يتألف مما يلى:

ويتحدث الزعيم مصطفى كامل عن الأسباب فى تسمية صحيفته باللواء؛ حيث يخفق عند هذا الاسم كل قلب وتجتمع أصدق الآمال.

وتمثل «اللواء» الرافد الثانى من روافد الحركة الوطنية، وقد قامت بدورها

فى نشر الوعى الوطنى ومحاربة الاحتلال والدعوة إلى حياة دستورية سليمة، وقد كتب مصطفى كامل فى افتتاحية العدد الأول محددا اتجاه اللواء، فبين أن هدفها هو: «خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى. والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة».

هذا التيار الوطنى، اقترنت وطنيته بعاطفة إسلامية، فوقف إلى جانب الخلافة العثمانية، وأيد ارتباط مصر بها روحيا. وقد أكد مصطفى كامل هذا الاتجاه عندما قال: «حقا إن سياسة التقرب من الدولة العلية لأحكام السياسات وأرشدتها».

ويرى أستاذنا الدكتور أحمد حسين الصاوى رحمه الله، أن هذا الاتجاه من «اللواء» والحركة السياسية التى تعبر عنها راجع إلى أن مفهوم البوطنية المصرية فى ذلك الوقت كان يحتاج إلى تأييد الباب العالى فى كفاحه ضد الاستعمار البريطانى وهو ما افترقت إليه الثورة العربية.. وعلى أى حال فقد عبرت كتابات مصطفى كامل الوطنية فى اللواء قبيل وفاته عن اتجاهات مصرية خالصة تستهدف تحرير البلاد من الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية معا، ويمثل توقيع الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ نقطة تحول خطيرة فى اتجاهات الصحافة.. فقد توطد مركز الانجليز فى البلاد، واشتد ضغطهم على الحريات، ومن ثم ازدادت لهجة «المؤيد» هدوءا ولينا وفترت حماسة غيرها من الصحف الوطنية بينما هللت «المقطم» والتزمت «الأهرام» الصمت.. أما اللواء فسرعان ما أفاقت من الصدمة بعد أن كشفت فرنسا عن نفسها وأعلن فيها مصطفى كامل أن الدول الأوربية كلها سواء؛ وأن المصريين يجب أن يعتمدوا على أنفسهم فى الكفاح الوطنى.. وتأكد هذا الاتجاه من «اللواء» بفتور العلاقة بينها وبين الخديوى بعد أن تخاذل أمام الضغط البريطانى وبذلك ازدادت اللواء قوة وشعبية وأصبحت أولى الصحف الوطنية المكافحة، غير أن «اللواء» مع تخلصها من فكرة التماس تأييد فرنسا ومن صلتها بصاحب العرش ظلت

متمسكة بفكرة الخلافة الإسلامية وارتباط مصر بها، حتى قبيل وفاة مصطفى كامل . ثم بدا من كتاباته الأخيرة تخليه إلى حد كبير عن هذه الفكرة واتجاه دعوته نحو تخليص البلاد من الاحتلال البريطاني والسيادة العثمانية معا .

ويذهب د. إبراهيم عبده في تاريخه للصحافة المصرية؛ إلى أن إنشاء (اللواء) يعتبر مفترقا للطرق في صحافة مصر الوطنية إذ ذاك؛ فقد حمل علم الجهاد في إيمان الواثق بحقه المؤمن بعقيدته؛ وستكون (اللواء) فيما بعد لسان حزب لعب في حياة مصر دوراً كبيراً (هو الحزب الوطني). وهي الصحيفة الوطنية التي كان نظام العمل فيها مثلاً يحتذى من حيث التحرير والإدارة؛ وهي الصحيفة الثانية التي استخدمت الآلة الكهربائية في طبعتها، ومن أولى الصحف التي عنيت بمادتها وفسحت صدرها لجليل الأمور وخطيرها في صفحات ثمان؛ وهي أول الصحف المصرية التي نشرت أخبار مصر وخطب المسؤولين فيها، ووصفت الحفلات الكبيرة بالبرق، ومحورها أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث في أوروبا عادة<sup>(١)</sup>.

وتشير اتجاهات المضمون في صفحات (اللواء) إلى اهتمام بقضايا: التعليم والتعليم الشعبي الذي يجب أن يقوم على أكتاف الشعب، وقد استطاع مصطفى كامل أن يجعل من هذه القضية الوطنية قضية عامة يجتمع عليها الوطنيون جميعاً فشرعوا ينشئون المدارس ويفكرون في جامعة مصرية تنشئها الشباب تنشئة يعجز أمامها الاحتلال إذا أبي الجلاء<sup>(٢)</sup>.

### الصحافة الوطنية والاتفاق الودي

وبينما تجاهد (اللواء) ومحورها بكل ما تملك من قوة؛ إذ بالإنجلترا وفرنسا يعلنان عن الاتفاق الودي بينهما في ٨ إبريل عام ١٩٠٤؛ وكان صدمة للمصريين؛ لأن مادته الأولى نصّت على أن إنجلترا «ليس في نيتها تغيير الحالة

(١) د. إبراهيم عبده: تاريخ الصحافة المصرية ص ١٥٨.

(٢) نفسه، ص ١٥٩.

السياسية لمصر وتعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بأن لا تعرقل عمل المجترة في هذه البلاد؛ فبدأت بذلك صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية. حيث فترت نعمة الحماسة في معظم الصحف؛ واستمرت (اللواء) على على حماستها؛ ومواصلة جهادها؛ واستكمال عناصر الوطنية وتوحيدها في نفوس المصريين، واتجه مصطفى كامل في اللواء اتجاهاً جديداً يؤكد أن الأمم الأوربية جميعاً، سواء في استعمارها؛ وهذه - كما يقول - حقيقة يجب أن يعرفها المصريون وتستلزم منهم الاعتماد على أنفسهم، وبولندا وإيرلندا أحسن مثلين لهم في الكفاح والحرص عليه<sup>(١)</sup>.

وتشن اللواء حملة صحفية كبرى على (اللورد كرومر)؛ عقب محاكمة دنشواي؛ كان من آثارها حملة صحفية في الخارة لفتت الانجليز إلى سوء السياسة التي ينتهجها المعتمد البريطاني في مصر مما ترتب عليه عزل كرومر في إبريل سنة ١٩٠٧. ويذهب المؤرخون إلى أن عزل كرومر قد فتح صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية، كتب معظمها (اللواء) وصحفه، وهي مدرسة في صحافتنا جديدة.

وقد أسس مصطفى كامل شركة مساهمة لإصدار جريدتين بلغتين أوربيتين في مصر بعد حادث دنشواي في نوفمبر سنة ١٩٠٦ ويذهب د. إبراهيم عبده؛ إلى أن إنشاء هاتين الصحيفتين من أبرز خدمات مصطفى كامل للقضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئاً بجانب ما نشر فيهما من المعاني التي كان يعزّ عرضها على الأجانب في مصر، ثم إنه استطاع أن يحصل على موافقة جريدة (لوفيجارو) على أن تأذن الجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات (بيزلوتي) عن على أن يكون نشرها في الجريدتين في يوم واحد، وهو عمل صحفى نادر المثال في ذلك الوقت، كما أنه رأى أن يعدّ للصحيفة بيئة صالحة فأوفد أحد محرري (اللواء) إلى باريس ليتلقى علومه الصحفية نظراً وعملاً في مدارسها وصحفها الكبرى<sup>(٢)</sup>.

(١) نفسه، ص ١٦٢؛ اللواء في ١٨ إبريل و ٢٥ مايو سنة ١٩٠٤.

(٢) عبد الرحمن الرافعي: مصطفى كامل ص ٤١٨.

## الفصل الخامس

### الصحف الوطنية ونشأة الأحزاب السياسية

بلغت الصحافة الوطنية ذروة تأثيرها فى الرأى العام فى هذه المرحلة المبكرة من مراحل مقاومة الاحتلال؛ وفى العام الأخير من عهد (كرومر) يسجل المؤرخون ظاهرة فريدة فى تاريخ الصحافة المصرية، وهى ظاهرة نشأة الأحزاب السياسية داخل الصحف الوطنية. والمعروف فى «تاريخ الدول» دائماً أن الصحف الوطنية هى التى تنشأ فى أحضان الأحزاب السياسية، ولكن الذى حدث فى مصر هو أن الأحزاب هى التى نشأت فى أحضان الصحف الوطنية<sup>(١)</sup>. وقد تم تأليف هذه الأحزاب بين اكتوبر ١٩٠٦ وسبتمبر ١٩٠٧ بالترتيب التالى:

أولاً - حزب الأمة، وقد نشأ فى داخل صحيفة (الجريدة) لمحرفها أحمد لطفى السيد.

ثانياً - حزب الإصلاح على المبادئ بالدستورية وقد نشأ فى داخل صحيفة (المؤيد) للسيد على يوسف.

ثالثاً: الحزب الوطنى: وقد نشأ فى داخل صحيفة (اللواء) لمصطفى كامل.

وتفسير ذلك أن الآراء التى نادى بها كل صحيفة من هذه الصحف الثلاث كانت قد تبلورت فى مبادئ تصلح لأن تكون أساساً لبرنامج الحزب الذى يبلور هذه المبادئ فى سياسة معينة رعتها.

#### مصطفى كامل والحزب الوطنى؛

ويتبع أستاذنا د. حمزة فكرة الحزب الوطنى منذ نشأتها إلى أن أخرجها مصطفى كامل إلى حيز الوجود فيقول<sup>(٢)</sup>:

(١) د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ١٠٩.

(٢) راجع أدب المقالة الصحفية فى مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة جزء ١ ص ١٦ - ١٧.

«إن فكرة الحزب قديمة فى مصر. بل ربما كانت سابقة لحياة مصطفى كامل نفسه بعشرات السنين.

فلقد سمع الناس كلمة (الحزب الوطنى) لأول مرة فى مصر، وذلك فى النصف الثانى من القرن الماضى. وربما كان ذلك بالضبط قبل الثورة العرابية بقليل. فى سنة ١٨٧٨ أى فى وزارة رياض باشا. ففى تلك السنة تم تأليف هيئة شعبية باسم الجمعية الوطنية أو (الحزب الوطنى) وكان من أعضاء هذه الهيئة يومئذ شريف باشا، وشاهين باشا، وعمر لطفى باشا، وراغب باشا، وسلطان باشا. وكانت هذه الهيئة فى حقيقة الأمر صدى لظهور المعارضة فى مجلس النواب المصرى.

كتب أديب إسحاق فى جريدة مصر القاهرة التى أنشأها فى باريس سنة ١٨٧٩ مقالا بعنوان (الحزب الوطنى فى مصر) يقول فيه:

«نعم إن الأمة المصرية فريقان، يعرف أحدهما بالوطنى، والآخر بما لا نجد لتعريفه حداً. فانه ليس بالغريب فيوصف بالأجنبى، ولا بالفتاح الدخيل فيعرف بذلك. وإنما هو مصرى وليس بمصرى، ووطنى وليس بوطنى. بل القول فيه ما جاء (بمصر الفتاة) على حين صدورها مفوضاً تحرير جانبها العربى إلى هذا العاجز (يريد نفسه) وهو تعريف الحزب الوطنى بالاستقلاليين، والآخر بالتدخليين. فالتدخليون هم الأفراد المتهاككون على تدخل الأجنبى فى أمور بلادهم، يتوسلون بذلك للرياسة والولاية، ويسترضون الدخيل بما يغضب الحق والوطن، ويبيعون ديارهم بما يطمعون فيه من باطل المقام وزائل الحكام. وهم الآن أصحاب الأمر، لهم الملك وللأجنبى الحكم، ولهم القشور وللدخيل إلباب... والاستقلاليون هم الفئة المجتمعة، والجمع الكثير. يرومون حفظ الحقوق الوطنية، وكف يد الأجنبى عن استقلالهم... وبعبارة إجمالية يريدون أن تكون مصر للمصريين. وهم الآن حلفاء الصبر، يُبعد نهماؤهم، ويعنت وجهاؤهم، وقيمهم اللؤماء هدفاً لسهام الانتقام. وقد عنى التدخليون بتشويه محاسن الفرقة الوطنية (يريد الحزب الوطنى) بما ينشرون فى صحفهم، وما

يستكتبون فى صحف الأجنبى من الكلام المقترى، متلونين تلون الحرباء. فتارة يسمونهم بحزب الترك القدماء، وطوراً بحزب التعصب الدينى، وآونة يرمونهم بالنفرة عن كل نجاح وصلاح. ومرة يتهمونه بعباوة الأجنبى عن دينهم على أى مشرب كان. وقد آن أن نضع لهذه الأراجيف حداً، وأن نرد كيد اللؤماء فى نحورهم. فالحزب الوطنى غير متعصب إلا فى وطنيته، والحزب الوطنى غير معادٍ إلا للخائنين».

قد يفهم من هذا الحديث أن كلمة «الحزب الوطنى» إنما كانت تطلق على الأحرار الذين كانوا يهدفون إلى استقلال مصر، ويحاولون الظفر بحريتها. وقد كان هؤلاء الأحرار يجتمعون حيناً بدار سلطان باشا، وحيناً آخر بدار لطيف باشا سليم، وحيناً ثالثاً بدار الأميرة نازلى فاضل، وحيناً رابعاً بدار السيد توفيق البكرى نقيب الأشراف، وحيناً خامساً بدار راغب بإشاد وهكذا.

والذى لا ريب فيه أن مصطفى كامل كان يختلف فى حياته كما قلنا إلى بعض هذه الدور، وأنه التقط فيما التقط منها فكرة الحزب الوطنى. وبقيت هذه الفكرة تسكن عقله حتى جاءت سنة ١٩٠٠ ففكر فى إخراج فكرته إلى حيز الوجود. وكتب فى ذلك مقالا بجريدة اللواء فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٠ عنوانه (حزب وطنى حر فى مصر) وكان يومئذ فى بودابست عاصمة المجر - جاء فيه:

«إن تاريخ هذا الوطنى المجرى هو أكبر مدرسة لرجل مثلى وهب حياته لخدمة وطنه وإعلاء شأنه إلى أن قال:

«هل يسمح لى الزمان بأن أرى فى مصر هذا الحزب الوطنى الحر الشريف المبادئ، المتحد الأعضاء، الناهض بالأمة إلى مرامى النجاح. إنى أعرف أن اليائسين سيقولون إن تأسيس حزبٍ محالٍ ولكنى إذا كنت لا أياس من خلاص بلادى فمحال على أن أياس من تحقيق هذا الأمر الجليل».

غير أن فكرة الحزب الوطنى بقيت حلماً من الأحلام لم يتحقق لمصطفى

كامل إلا فى عام ١٩٠٧ . بعد حادثة دنشواى واستعداد الأمة إستعداداً كاملاً لتقبل هذه الفكرة التى توج بها الزعيم الشاب جهاده فى سبيل وطنه . وفى الثانى والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٧ ألقى الزعيم الشاب أطول خطبة سياسية له ، وكان ذلك فى مسرح زيزينيا بالأسكندرية . واجتمع لسماعه عدد من الأهالى لا يقل عن سبعة آلاف وكانت هذه الخطبة بمنزلة إعلان لانشاء الحزب الوطنى الذى عرف يومئذ (بحزب الجلاء) . وقد اجتمع أعضاؤه لأول مرة فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٠٧ . وخطب مصطفى كامل فى هذا الاجتماع خطبة أخرى أعلن فيها مبادئ الحزب الوطنى وتلخص فيما يلى : -

أولاً: الاستقلال التام لمصر مع سودانها وملحقاتها غير مشوب بأى احتلال أو حماية أو شبه سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال .

ثانياً: إيجاد حكومة دستورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوروبا .

ثالثاً: إحترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون .

رابعاً: إنتقاد الأعمال الضارة بكل صراحة والاعتراف بالأعمال النافعة والتشجيع عليها وإرشاد الحكومة إلى خير الأمة ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها .

خامساً: العمل لنشر التعليم فى أنحاء الديار على أساس وطنى صحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه ، ومحاربة الخزعبلات والترهات ، ونشر المبادئ ، الدينية السليمة الداعية للرقى ، وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسيس الكليات فى البلاد وإرسال الارساليات لأوروبا وفتح المدارس الليلية للصناع والعمال .

سادسا: ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وكل فروع الحياة، والعمل والجد  
وراء نيل الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى .

سابعا: إرشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة إلى حقائق الأحوال وبث  
الشعور الوطنى فيهم ودعوتهم للاتحاد والائتلاف وتمكين المحبة بين عنصرى  
الأمة المسلمين والأقباط وتنبههم إلى واجباتهم نحو بلادهم .

ثامنا: مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين  
الأحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الأمة قوة على قوتها .

تاسعا: تقوية روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والأجانب وازالة سوء  
التفاهم بينهم إذا وجد .

عاشراً: إنماء علائق المحبة والثقة بين مصر ودول أوروبا، ونفى كل تهمة عن  
مصر، والعمل لا يجاد أنصار لها فى كل أنحاء العالم حتى تكون لها قوة أدبية  
سامية تساعدها على اعتراف الغير بحقوقها الشرعية والتغلب على المساعى التى  
تعمل ضدها ويراد بها إخفاء الحقيقة<sup>(١)</sup> . وإلى جانب الحزب الوطنى نشأ حزبان  
آخران أولهما: حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية عن صحيفة المؤيد،  
والثانى هو: حزب الأمة: كان أنصار هذا الحزب قد ورثوا عن الحركة الوطنية  
التى سبقت الاحتلال البريطانى جفائها للجالس على العرش ونزعتها  
الإصلاحية التى افتتن بها عدد لا بأس به من الملاك الزراعيين من ناحية،  
وبعض المفكرين المجددين من ناحية ثانية. كما كان أعضاء هذا الحزب يهدفون  
إلى إصلاح المشاكل الاجتماعية فى البلاد. وهو إصلاح كان يؤمن به  
المحتلون، ويرون أنه ينبغى أن يكون جزءاً من سياستهم فى مصر. وتوالت  
الأيام، وتغيرت معها الظروف والأحوال، فأصبح أعضاء حزب الأمة يميلون  
إلى انتقاد السلطة المحتلة. واستحال حزب الأمة مع الزمن أيضاً إلى حزبى  
الوفد والأحرار الدستوريين بعد ثورة ١٩١٩ وزعيم الوفد هو سعد زغلول.  
وزعيم الأحرار الدستوريين هو عدلى يكن .

(١) خطاب بطل الوطنية المرحوم مصطفى كامل باشا ٧٥٦٧ دار الكتب .

## صحيفة (الجريدة) وحزب الأمة؛

كان (حزب الأمة) هو أول الأحزاب المصرية فى نشأته؛ حيث نشأ فى دار صحيفه (الجريدة) عام ١٩٠٧؛ وقد قيل عن سبب إنشاء (الجريدة) أن حادثاً وقع يومئذ وكان له تأثير فى نفوس المصريين، وهو حادث (العقبة)، وخلاصته أن الحكومتين التركيه والمصريه اختلفتا على (العقبة) كل منهما تراها لنفسها دون الأخرى؛ وتدخلت إنجلترا بينهما، فانتصرت لمصر على تركيا. ولكن عقلاء الأمة المصريه انتبهوا لهذا الوضع ولم تجز عليهم خديعة الاحتلال البريطاني؛ فنصروا الأتراك على الإنجليز فى هذه المشكله، فذهل الاحتلاليون لهذا الموقف، وعادا الوطنيون فى مصر يفكرون فى الأمر، فكان من رأى لطفى السيد أن تنشأ جريدة مصريه تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص لتركيا أو إلى إحدى السلطتين الشرعيه أو الفعليه فى البلاد (يريد بالسلطة الشرعيه الخديو عباس وبالسلطة الفعليه لورد كرومر)، ورأى أحمد لطفى السيد أن تكون الجريدة ملكا لشركة من أعيان البلاد أو أصحاب المصالح الحقيقيه فيها وهم الذين ظن اللورد كرومر أنهم راضون عن الاحتلال، متوهما أن حركة المعارضة لهذا الاحتلال لا يقوم بها إلا من ليس لهم مصالح حقيقيه فى البلاد، وهم طبقه الأفنديه من جانب وباشوات الأتراك من جانب آخر. أما الأهداف التى سمعت إليها (الجريدة) فتتلخص فيما يلى:

أولاً: نشر عقيدة الاستقلال بين أفراد الأمة المصريه ودحض الفكرة القائلة بأن مصر يمكن أن تحصل على استقلالها بمساعدة فرنسا وتركيا، مع أنه لا سبيل فى الواقع إلى حرية المصريين إلا بجهود المصريين.

ثانياً: السعى لإزالة الفروق فى الرأى بين المصريين وإحلال التشابه فى العقيدة محل الخلاف فيها - وبعبارة أخرى - تكوين ما يسمى بالرأى العام المصرى من جديد، وبذلك يتحد المصريون فى أهدافهم مهما كانت آراؤهم.

ثالثاً: إنباء الشخصيه المصريه بقدر المستطاع، والنظر فى الأمور السياسيه من زاوية مصر وحدها مستقلة عن غيرها من الدول ومنها الدوله العثمانيه نفسها.

رابعاً: توجيه النقد إلى السلطتين الشرعية والفعلية فى البلاد، والنظر فى هذا النقد إلى مصلحة المصريين وحدهم، من غير تحيز لأحد الجانبين المذكورين فى حال اختلافهما، أو فى حال اتفاقهما، أو فى الحال التى يكونان عليها بين بين.

خامساً: المطالبة بالدستور، والدأب على هذه المطالبة بعد إذ تبين للمصريين أنه يستحيل عليهم التقدم خطوة إلى الإمام إلا بمشاركة الأمة للحكومة فى الأعمال العامة، ولن يكون ذلك إلا بحصول الأمة على الدستور ولو بالتدرج، وذلك عن طريق الدفاع عن مجالس المديرىات ومجلس شورى القوانين، وتوسيع اختصاصهما تمهيداً للوصول إلى حياة نيابية أقرب للكمال.

سادساً: الرد على مزاعم الإنجليز، وبخاصة ما جاء منها مخالفاً لتقارير اللورد كرومر والدين غورست، حتى يثبت للعالم الحر أن مصر خليفة بالكمال الذى تنشده، وأن الإنجليز ظالمون فى نظرتهم للدين الإسلامى من جهة، وظالمون فى تقديرهم للموظف المصرى والكفاية المصرية من جهة أخرى.

سابعاً: الدعوة لمذهب الحريين؛ ليكون أساساً لتربية الأمة المصرية، ولحرية التعليم ولحرية القضاء، ولحرية الكلام والكتابة، ولحرية الاجتماع، وسائر أنواع الحريات الأخرى، مع العناية التامة ببرامج التعليم حتى يصبح ملائماً لأغراض الأمة واجيل الجديد.

ثامناً: النهوض بالحركتين العقلية والأدبية، وإفساح المجال للشبيبة المصرية لكى تظهر مواهبها المختلفة.

تاسعاً: العمل على تشجيع الصناعة والتجارة والزراعة حتى تبلغ كل منها الحد الذى يتفق وآمال البلاد.

عاشراً: العمل على تقوية الوحدة القومية مع اليقظة التامة لتوحيد عنصرى الأمة المصرية - وهما عنصر المسلمين وعنصر الأقباط - حتى لا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها إلى تحطيم الوحدة أو النيل من الحركة الوطنية.

وباختصار كانت (الجريدة) ومحررها أحمد لطفى السيد، تشترك مع اللواء ومحرره مصطفى كامل فى الأهداف الوطنية. ولكنهما يختلفان اختلافا كبيرا فى الوسائل: فبينما مصطفى كامل يرى الاعتماد على الدولة العلية، إذ بلطفى السيد لا يرى الاعتماد على هذه الدولة أو غيرها، بل على المصريين وحدهم دون غيرهم. وبينما دعا مصطفى فى (اللواء) إلى ما يسمى (بالجامعة الإسلامية أو الجامعة العثمانية)، إذا بلطفى السيد فى (الجريدة) يدعو إلى (الجامعة المصرية) أو (الجامعة القومية). وقال فى ذلك:

«إن علينا نحن المصريين أن نترك فرنسا والمجتررة والدولة العلية، وعلينا ألا نغير سياسة الخلاف، أو سياسة الوفاق أية أهمية، وعلينا أن نعتد على أنفسنا فقط فى الحصول على حقنا فى الدستور، وحقنا فى الحرية. لا بد لنا من ذلك، ومن عزة تربأ بنا أن نطلب من غيرنا أن يأتى لتحرير أنفسنا من الرق وقلوبنا من عبادة القوى، كأننا - كما ظنوا خطأ بنا - ينبغي أن يأتينا الاستقلال ونحن نيام»<sup>(١)</sup>.

هكذا تعلن الحركة الوطنية عن تيارها الثالث، وهو التيار الداعى لأن تكون «مصر للمصريين» والذى تزعمه أحمد لطفى السيد، ومثلته جريدة «الجريدة» التى صدرت عام ١٩٠٧.

وقد اختطت الجريدة لنفسها تيارا متميزا مختلفا تمام الاختلاف عن التيارين الأولين، فكانت دعوتها للقومية المصرية الخالصة باعتبارها هدف الاستقلال الصحيح، دعوة جديدة تتميز بطابع فكرى.

وإلى جانب ذلك أخذت الجريدة بالمذهب «الليبرالى» الذى يدعو إلى زيادة نصيب الأفراد من الحرية وتحديد تدخل الحكومة فى مختلف القطاعات حتى تعتمد الأمة على نفسها بدلا من الاعتماد على الحكومة فى كل أمورها. . ومن هنا نادى بحرية التعليم والمرأة والصحافة والقضاء وما إلى ذلك.

(١) د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٨٨.

وتنفرد «الجريدة» بدعوتها الوطنية لأن تكون «مصر للمصريين» ومعارضتها الفكرة التي تنادى بربط مصر بتركيا، وهي الفكرة التي كانت تؤمن «المؤيد» بها واحتلقت النزعة العثمانية بوطنية «اللواء» إلى حد ما . . . وبذلك كانت الجريدة تمثل تيارا جديدا يمكن أن نطلق عليه «التيار المصرى» الخالص .

ونصل من هذا الحديث إلى أن الصحافة قد مثلت التيارات المتصارعة تمثيلا صادقا فرأينا كيف أن الرافد المعادى للانجليز مثلته «اللواء» وبرز على قمته مصطفى كامل، والرافد المؤيد للخديو مثلته «المؤيد» وصاحبها السيد على يوسف، والرافد الداعى إلى أن «تكون مصر للمصريين» مثلته «الجريدة» ومحررها لطفى السيد . وكلها روافد تنبع من التيار الوطنى .



## الفصل السادس

### الصحافة المصرية والاتجاهات الجديدة

تمثل الفترة بين ثورتى ١٩١٩ و١٩٥٢؛ مرحلة من المراحل الحاسمة فى ملحمة الجهاد الوطنى؛ نسجل فيها للصحافة المصرية وأعلامها أداء دور الحارس الأمين على أمانى الثورة الحقيقية.

وننظر إلى المقال الذى نشره العقاد فى عام ١٩٣٥ فى روز اليوسف اليومية على أنه تبشير بوجود تحول نضال الشعب ضد الأوضاع الفاسدة والتبشير بزعامة جديدة لها صفات الصحافة الوطنية تتفق مع ما أثبتته التاريخ من بعد يقول:

«الواجب فى الزعيم المصرى على ما نعتقد ان لا يرشح نفسه لوزارة ولا نيابة، وأن يكون «قائدا» لاسياسيا ولا حاكما من حكام الإدارة، وخير لمصر أن يكون شابا فى الأربعين وأن لا يكون من الموظفين الأقدمين.

«وعمل هذا الزعيم أن يجعل الحركة الوطنية حركة الاستقلال لا حركة المنافسة على الوزارات والتطاحن بين الأحزاب. وقد أصبح الوصول إلى الاستقلال عن طريق الوزارات أمراً غير معقول ولا منظور بعد أن تعسر هذا الطلب على وزارة سعد زغلول..»

«فليكن للزعيم المصرى بعد اليوم عمل غير المناصب أو البرامج السياسية، وليكن قيام الوزارات وسقوطها بعد اليوم معلقين على رأى العام الذى يتصل بزعيمة صلة لا تقوم على الترشيح والتنصيب، ولكنها تقوم على الشعور النزيه الصادق الذى لا ينظر إلى غير الاستقلال والحرية كما كان ينظر إليهما المصريون فى أوائل النهضة القومية.»

## صحيفة (السياسة الأسبوعية):

صدر العدد الأول من (السياسة الأسبوعية) في مارس ١٩٢٦. وقد أشار رئيس تحريرها د. هيكل في افتتاحية هذا العدد إلى أنه لا يريد، أن يتلو «على الناس برنامجا طويلا عريضا نسرده فيه ما يجول بخاطرنا من الآمال التي نود أن نراها محققة في أنهر هذه الجريدة. بل نريد أن يرى الناس هذا البرنامج بأنفسهم ولسنا ندعى لهذا العدد تمثيل كل ما يجول بخواطرنا. لكن لنا من الرجاء في المستقبل ما يجعلنا أقرب إلى الظن باستطاعتنا أداء ما نرجو التوفيق لأدائه. على أن ذلك لا يعفينا من أن نذكر إن أردنا بهذه (السياسة الأسبوعية) أن تكون وسطا بين الجريدة السياسية والمجلة السياسية من غير أن تقصر أكبر عنايتها في شئون السياسة على ما يفهمه الأكثرون. بل سيكون للأدب والاجتماع والاقتصاد والفن نصيب من العناية قدر المستطاع. ونعتقد أننا بهذا نؤدى خدمة يرى كثيرون ضرورة أدائها للبلاد في الظروف الحاضرة. وهذا الرأي يطمعنا في مؤازرة هؤلاء الكثيرين لنا وتأييدهم إيانا ومعاونتهم لنا ونحن أول من يقدر قيمة هذه المعاونة القيمة التي مكنت السياسة اليومية من بلوغ المكانة التي بلغتها والتي أطمعنا في إمكان القيام بالمجهود الذي يقتضى إصدار مثل هذه (السياسة الأسبوعية) القيام به»<sup>(١)</sup>.

وبعد سنة كاملة من عمر السياسة الأسبوعية، يقول هيكل في مقال بعنوان: السياسة الأسبوعية في عامها الثاني<sup>(٢)</sup>: «ورجاؤنا أن توفر السياسة الأسبوعية ما يجب توافره في هذه الصحافة من تنويع المواضيع تنويعا يجد معه كل قارئ ما يعنيه أن يقف عليه. وهذا هو ما دعانا ويدعوننا إلى أن نجعل منها ميدانا لمختلف الموضوعات العلمية والأدبية والسياسية، وأن نلجأ جهد الطاقة إلى

(١) السياسة الأسبوعية في ١٣ مارس ١٩٢٦. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل ص ٥٠.

(٢) السياسة الأسبوعية في ١٩ مارس ١٩٢٧.

ذوى الراى والتخصص فى هذه الموضوعات المختلفة لإيقاف القراء على آخر ما أبدع فيها».

ومن ذلك يبين أن الرؤيا كانت واضحة أمام د. هيكل للملاحق والطبعات الأسبوعية، فهو يرد أن يحتذى حذو الطبعات الأسبوعية الأعم فى المفهوم من الملاحق الأدبية لأنه يريد بها أن تكون وسطا بين الجريدة السياسية والمجلة السياسية». وذلك بهدف القيام بنهضة ثقافية جديدة تهدف إلى إزالة الجمود الفكرى الذى كشفت عنه قضيتا «الإسلام وأصول الحكم» و«فى الشعر الجاهلى»، ذلك لأن الكتاب المجددين فى هذه الفترة بعد أن استفدت الصحافة السياسية معظم جهودهم كان لابد لهم أن يفتشوا عن سند جديد يحمى ظهورهم ويسدد خطاهم ويضئ لهم الطريق ويحميهم من لهيب المعارك السياسية التى كانت محتدمة متأججة الأوار، كما رأينا صورة العصر السياسية عند الحديث عن (السياسة اليومية)، فبدأت فكرة، التعاون الأدبى تظهر فى الأفق، فظهرت «السياسة الأسبوعية»، «الأول عهدا بالحياة أثناء ائتلاف الأحزاب المصرية فى سنة ١٩٢٦ وطوع ذلك لها أن تكون مستقلة فى خطتها ومنهجها، غير متأثرة بهد حزبى أيا كان لونه»<sup>(١)</sup>.

وراح د. هيكل يبيث فكرة التأزر الأدبى المرتبطة بدعوته للوحدة القومية لتقييم مصر حياتها الداخلية على أسس جديدة ترضو أن يتضافر أبنائها على ابتكارها وعلى تثبيت قواعدها وتوطيد أركانها. فهذا الميدان ما يزال<sup>(٢)</sup> بكرا فى الحياة المصرية وما يزال بحاجة إلى تفاهم أولى الراى على أصلح المبادئ وأكفلها بخير المصريين وطمانيتهم ورضائهم، فهم اليوم أصحاب الراى فى أمرهم وفى مصيرهم؛ وهم المطالبون لذلك بأن يضعوا نظام الحياة للجماعة المصرية وأن يقرروا المبادئ التى يقوم هذا النظام عليها. ووطنهم أشد إلحاحا فى مطالبهم اليوم بوضع هذا النظام بعد أن أثبتت الحوادث أن سياسة الاحتلال

(١، ٢) السياسة الأسبوعية فى ١٢ يناير ١٩٢٩.

البريطاني في الماضي قد أهملت الجانب المعنوي في الحياة المصرية. وقد جعلت كل همها إلى ثبات المالية المصرية حتى لا تتداخل في شئون مصر دولة غير بريطانية باسم كفالة ما لأرياب الأسهم في دين مصر العام من حقوق المصالح». لذلك يذهب د. هيكل في دعوته إلى أن السبيل الحق لابتكار أصلح المبادئ وأكفلها بالخير لمصر وطمأنيتها؛ إنما هو البحث الحر لا يقيد ولا يقف في سبيله عائق.

وتحقيقاً لهذه الغاية رسم محرر السياسة الأسبوعية لصحيفته منهاجاً تلتزم به، ليتسنى لها النجاح، وأن تكون ملتقى الأعلام والأفكار كما يريد. ويقوم هذا «المنهج» على البحث الحر، الذي لا يتأتى له أن يؤتى ثماره - كما يقول<sup>(١)</sup> - إلا إذا سما صاحبه فوق الأهواء الذاتية وفوق الشهوات والأحقاد والتمس معونة كل قادر على المعونة لبلوغ الغاية من بحثه، وهذا ما ترجو السياسة الأسبوعية أن تجده عند أولى الراى من المصريين جميعاً، وإن اختلفت ميولهم وأهواؤهم ونزعاتهم وأحزابهم. «فمصر أمتاً جميعاً في أحضانها نشأنا وإلى ترابها نعود وما نستمتع من الحياة فيها يلقي على عاتقنا جميعاً عبء العمل لخيرها والتضافر على هذا العمل إن فرقت بيننا النزعات وباعدت بين أهوائنا أمرجتنا. ومن ناقل الراى النكوص عن القيام للوطن بواجبه ظناً بمعونة رجل الحكم لأن هوانا يختلف مع هوى هذا الرجل ومزاجنا لا يلتئم مع مزاجه. وليس بين النكوص عن أداء واجب الوطن وبين خيانة الوطن بون كبير»<sup>(٢)</sup>.

ويصف د. هيكل هذا «المنهج» فيقول: «إن الحقيقة بنت البحث، والخلاف في الراى التماساً للحق وطلباً لمصلحة عامة هو أكد الوسائل إلى تبيين وتحقيق المصلحة العامة. وستعاون هذه الجريدة قراءها جهد ما تستطيع في البحث عن الحق وفي التماس أوجه الراى بأن تعرض عليهم كل ما تستطيع

(١) السياسة الأسبوعية في ١٢ يناير ١٩٢٩.

(٢) (٣، ٢) السياسة الأسبوعية في ١٢ يناير ١٩٢٩.

عرضه من الآراء والمعلومات التي تقع عليها فى مختلف أنحاء العالم، مستعينة فى ذلك بأحدث ما ينشر من الكتب والنشرات الدورية والصحف وأسباب النشر والإذاعة جميعاً، وهى تقدر أن الفكاهة قد تنطوى من الحقيقة على ما لا ينطوى عليه جِد المنطق، وأن الأقصوصة الضاحكة قد تنطوى من العبارة والحكمة أضعاف ما تنطوى عليه مذاهب الفلسفة. وهى لذلك ستأخذ من هذا وذاك بنصيب، ملتزمة فى الصورة وفى الكاريكاتور ما لا يصل إليه الأدب أو العلم، جاعلة كل همها أداء رسالة الفكر الحر والثقافة العلمية المثمرة.

وتحقيقاً لهذا المنهج أخذت السياسة الأسبوعية نفسها أن تقوم بجهود «لتوطيد روابط العلاقة العقلية والروحية بين الشعوب التى تتكلم العربية، ولنشر الثقافة العامة فى مختلف أنحاء الشرق العربى بإذاعة ما تستطيع إذاعته من تفكير الشرق والغرب جميعاً»<sup>(١)</sup>، وعلى نفس «المنهج» الذى جعله د. هيكل يقوم على «أقوم مبادئ حرية الرأى التى تحمل من نفوسنا محل القداسة والإجلال»<sup>(٢)</sup>.

ويذكرنا د. هيكل أن السياسة الأسبوعية<sup>(٣)</sup>، «يشجعها على المضى فى رسالتها ومتابعة مجهودها ما يتولاها به قراؤها من تشجيع وما يوازرها به أصدقائها من معونة صادقة فى تحريرها. فليس عدد من أعدادها إلا يحتوى بحوثاً وأفكاراً ممتعة من ثمرات أقلام هؤلاء الأصدقاء الذين وجدوا فيها المجال للتعاون على إنهاض هذا الشرق العربى نهضة فكرية هو الآن فى أشد الحاجة إليها. وليس يقف أمر هذه البحوث والتفكيرات على ما يرسله بنو مصر، وفلسطين وسوريا والعراق. هذا إلى جانب ما يوقفنا عليه مراسلوننا فى مختلف الأقطار من سير النهضات فى الشرق ومن أسباب التطور فى الغرب. وكذلك ترانا نشعر فى كل عدد من أعداد هذه الجريدة بوسط قوى صالح من

(١) (٢، ١) السياسة الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

(٢) المرجع نفسه.

الأنصار والمؤيدين يعززنا ويقوى هممتنا وبيعثنا على المزيد من الجهد فى سبيل أداء الغرض الذى أخذنا به أنفسنا منذ أصدرنا العدد الأول من السياسة الأسبوعية»<sup>(١)</sup>.

«هذا الغرض هو الذى يجعلنا نتوخى جهد الطاقة الأتميل بهذه الجريدة إلى ناحية حزبية سواء فى مصر أو فى أية أمة من الأمم التى تقرؤها. ذلك أننا لا نريد بها مناصرة فريق على فريق ولا طائفة على طائفة، ولا نبتغى بها أن تكون فى صف زيد أو عمرو، وإنما نبتغى بها مناصرة فكرة لا تتزعزع فى نفوسنا ولا تتصل بحزب من الأحزاب أو بطائفة من الطوائف، تلك الفكرة هى ما قدمنا من تأييد حرية الرأى والعمل على نشر الثقافة وتمكين أواصر القربى العقلية والروحية فى نفوس أهل الشرق جميعا. لذلك لا يمنعنا مانع من أن ننشر رأين مختلفين. ولا رأيا يخالف رأينا ما قام الرأى على أساس من سلامة التفكير والتنزه عن الأغراض الذاتية. وإذا كنا قد جعلنا هذا رأينا فى الاجتماعيات والعمليات فهو كذلك رأينا فى الشئون السياسية. فليس يحول دون نشر رأى من الآراء أنه يخالف رأينا ما بدا هذا الرأى منزها عن الغرض، سليم التفكير فى مقدماته ونتائجه. وهذه الحرية التامة التى نبتغيها هى التى أتاحت لنا أن ننشر الرأين المتناقضين وأن نترك لصاحب كل واحد منهما أن يؤيد رأيه بما يرى تأييده به من حجة ودليل قائمين على الأساس السابق ذكره»<sup>(٢)</sup>.

ويشهد د. هيكىل أن هذا الاحترام التام لحرية الرأى قد جنى على السياسة الأسبوعية فى بعض الأحيان: «وبلغت جنايته أن ضاع بعض أصدقائها ممن كان لأقلامهم أثر فيها. لكننا لم نأسف يوما من الأيام على ما حدث من ذلك. فنحن أكبر تقديرا لحرية الرأى منا للذين يتقمون هذه الحرية، ولو أدى ذلك إلى

(١) السياسة الأسبوعية: فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

(٢) السياسة الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

ضياح ما بينهم وبين هذه الجريدة من صداقة وصله، ولو أدى ذلك إلى إعلانهم عليها حربا لن تنال منها، لأنها بنزعتها السامية أبعد منالا من أن تسيء إليها الشبهات الخاصة أو تززع من عقيدتها في مبدئها وغايتها الأغراض والمآرب الذاتية<sup>(١)</sup>.

ويعاهد هيكل قراهه في مفتح السنة الرابعة من حياة السياسة الأسبوعية على أن «تكون دائما عند حسن ظنهم بها. . فلن نألو جهدا في سبيل تحقيق غاياتنا ولن نجعل لاعتبار فوق حرية الرأي قيمة، ولن نتغير عما كنا نعاصد البحث والتفكير ونعمل على نشر ما يصل إليه العلم من نتائج. وإننا لنعاهدكم كذلك على أن نكون في المستقبل كما كنا في الماضي، أنصار النزاهة المطلقة في التفكير والقول والكتابة. وعاهدكم أيضا على أن نتعاون وإياهم على بعث حضارة الشرق من جديد بعثا نراه قريبا وإن رآه بعضهم بعيدا، ونراه يقينا وإن رآه بعضهم حلما من الأحلام، ونراه هادي الإنسانية ومرشدها إلى السلام وإن خيل لبعضهم أن الإنسانية لن تزال في ضلال ولن يُروى ظمؤها للخراب والدمار. وإذا كان ما نعاهد قراء السياسة الأسبوعية عليه أمرا شاقا عزيز المنال، فإنه لذلك جدير بالجهود والسعى المتواصل. ولقد طالما حسب المترددون الذين إذا ذكر الحق تزعزت عزائمهم أمرا من الأمور محالا، فإذا هذا المحال أدنى لأن تحققه العزيمة الصادقة مما يظنون. وهذا إيماننا وهو الذي يجعلنا على ثقة من أنا بالغون في المستقبل القريب كل هذه الغايات التي نصبو إليها ونتجه إلى تحقيقها<sup>(٢)</sup>.

ويزيد هذا الإيمان في نفوسنا قوة على قوته ما بلغته السياسة الأسبوعية من قوة في السنوات الثلاث التي انقضت منذ نشر أول عدد منها. فثلاث سنوات من حياة أي مجهود من المجهودات ليست شيئا مذكورا. وكم مضت أمثال هذه

(١) نفس المرجع.

(٢) السياسة الأسبوعية في ٢٣ مارس ١٩٢٩.

السنوات الثلاث وأضعافها على عمل فى جسامة السياسة الأسبوعية ثم إذا به ما يزال يضطرب بين الاستقرار والهزيمة . فأما هذه الجريدة فقد قوبلت من الجمهور فى مصر والشرق العربى وفى البلاد الغربية النائية التى تضم طائفة من قراء العربية بتعظيم جعلنا نعتقد أن الحاجة كانت ماسة إليها، وأن الأغراض الماثلة فى نفوسنا ماثلة فى نفوس الألف والملايين من أهلنا وجيراننا وإنها ما كادت لذلك ترى هذا المجهود يشرق فجره حتى تعاونت لتزيده ضياء على ضيائه .

إذن فالغايات التى نريد بلوغها ليست غايتنا وحدنا ولكنها غايات عامة تجيش بها نفس الشرق كله والشرقيين جميعا . وإذن فالمجهود الذى نقوم به يلقي جوابه فى نفوس الملايين من أهلنا وبنى عمومنا . وإذن فهذا البعث الذى نطمح فيه كثمرة لحرية البحث العلمى والرأى النافع نرجو أن يبعث من روح الشرق الخالدة إلى حضارة الغرب فى كثير من أنحاء ضياء الحق وأن يحقق للإنسانية ما تصبو اليوم إليه فى قوة ولهف من هداية وسلام - هذا البعث هو كذلك موضع إيمان الكثيرين وموضع رجائنا أجمعين فليكن عهدنا الذى عاهدنا عليه قراءنا هو إذن مفتوح كلمتنا لهذه السنة الرابعة<sup>(١)</sup> .

من هذا ومن كثير أمثاله من فواتح القول نتعرف على هذه الخطوط الكبيرة فى «السياسة الأسبوعية» وأهدافها . إنها بوجه عام، اتجاه جديد فى الصحافة العربية على غرار ما فعله الصحف الأوربية، يهدف من ورائه الأدباء والكتاب المصريون إلى الخروج من دائرة الحزبية، وإلى مواصلة رسالة التجديد التى بدأوها فى الصحف اليومية على عجل، ولأنهم يريدون أن يسلكوا بالنهضة الفكرية، كما وضح من قول د. هيكل فيما سبق، طريقا جديدا غير مسبوق، ولأن هذه الفترة، كما نعلم كانت تختلط فيها التيارات الأدبية بالتيارات الحزبية،

(١) نفس المرجع.

وتأثر الأحكام النقدية بهذه التيارات، والأمر الذى كشفت اللثام عنه بعض القضايا الفكرية التى شهدتها الصحف اليومية<sup>(١)</sup>.

على أن صدور السياسة الأسبوعية على هذه الصورة التى نتحدث عنها لم يكن بداية مولد تيار التجديد، فقد رأينا فيما سبق أن هذا التيار قد نشأ فى ظروف الحياة المصرية وصراعها الحزبى، فقد كان هذا التيار يتطور ابتداء من الصفحة الأدبية فى السياسة اليومية، ثم ملحق السياسة، وهكذا تطور التيار أو وصل إلى ذروته عندما صدر العدد الأول من الطبعة الأسبوعية للسياسة فى مارس ١٩٢٦.

وإذا كنا لا نجمع على أن مولد هذه الصحيفة يمثل ميلاد تيار التجديد، فإننا نعترف بأن هذا التيار قد وصل إلى ذروته من ذلك الحين، وساعدت الظروف والأحداث على أن يأخذ طابعه الفكرى المجدد، ولذلك كان لا بد أن نقف عند هذه النشأة وكيف تطورت وما صادفها من عقبات.

ونحن نلصح فى فواتح القول التى أوردناها من السياسة الأسبوعية والتى سجلها محررها: الاستقلال فى الشخصية الأدبية، فى الوقت الذى تصدر فيه السياسة الأسبوعية ممثلة لكل الاتجاهات والمذاهب الفنية، لا ينسى هيكل أن يشير صراحة إلى أن السياسة الأسبوعية لا تتقيد بالأراء الحزبية ولا بتوجيهات الحزب إلا فى الحدود الخاصة: «وسيكون دأبنا هناك وهنا أن ننصر المبادئ أو نحاربها لذاتها دون نظر إلى الأشخاص الذين يؤيدونها، أو يناضلونها وفى نصره المبادئ وفى محاربتها لا نداجن ولا نخاف فى الحق لومة لائم. لذلك قد ننصر رأياً لشخص بذاته ونحارب رأياً آخر لهذا الشخص بذاته. إذا لم يتفق هذا الرأى فى منطق المذاهب العملية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفنية أو

(١) راجع كتاب: طه حسين وزوال المجتمع التقليدى؛ القاهرة هيئة الكتاب الفصل الخاص بالقضايا الفكرية وقضية الشعر الجاهلى.

الأدبية. ولن يغير تأييدنا للرأى أو المبدأ أو محاربتنا إياه من صلاتنا لمؤيدى المبدأ ولا لخصومه»<sup>(١)</sup>.

وقد أرسى بذلك مبدأ من أهم المبادئ التى كانت الحياة الأدبية والصحفية فى أمس الحاجة إليها حينئذ، ونعنى (محاربة التعصب) الذى نجم عن تغفل- الحزبية فى الرأى. وفى ذلك قال د. هيكل: «فإن حرص الأشخاص مع ذلك على خصومنا فإننا لن نقف منه موقف التعصب ولن نحارب ما نراه صالحا من رأيه. فليس التعصب وليس ضيق الأفق فى طبيعنا، والتعصب وضيق الأفق هما اللذان يحيلان الخلاف فى الرأى خصومة ذاتية ويسرعان بصاحبهما إلى اتهام من يخالفه وينسيانه أن الحقيقة بنت البحث وأن الخلاف فى الرأى التماساً للحق أو طلباً لمصلحة عامة هو آكد الوسائل إلى تبين وتحقيق المصلحة العامة»<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضا تأصيل «حرية الرأى» وتوكيدها وبث روح الديمقراطية فى الأدب الصحفى حتى يثق الشباب بقدرته وكرامته الشخصية، ولذلك رأينا د. هيكل يسجل حرص السياسة الأسبوعية «على حرية الرأى والبحث لتكون ميدانا حقيقيا لأصوب الآراء فى أشد الشئون مساسا بحياتنا الروحية والعملية والمادية»<sup>(٣)</sup>.

هكذا جاءت «السياسة الأسبوعية» كأول طبعة أسبوعية تعنى بالشئون الثقافية البحتة فى مصر وفى العالم العربى فيما نعلم، بحيث لا يسع مؤرخ الصحافة إلا أن ينظر إلى صحيفة السياسة - كما يقول الدكتور عبداللطيف حمزة<sup>(٤)</sup> على أنها تعتبر بحق «رائدة» الطُّور الرابع من أطوار الصحافة المصرية. ويرجع السبب فى ذلك إلى أمور كثيرة منها:

(١) (٣، ٢، ١) السياسة الأسبوعية فى ١٤ يناير ١٩٣٩.

(٤) الصحافة المصرية فى مائة عام ص ١١٠.

أن جريدة السياسة كانت من أكثر الصحف المعاصرة لها استخداما لكبار الكتاب والمفكرين، وإفساحا لهم فى مجال الكتابة فيها على اعتبارهم «مصاحفين لا صحفيين محترفين».

استطاع كتابها أن يخلقوا ثورة فى الصحافة المصرية من الناحيتين الأدبية والفكرية وذلك بما نشروا فى صحيفة السياسة الأسبوعية - بنوع خاص من المقالات الثورية فى عالم الأدب والاجتماع والتاريخ والفلسفة. وحسب القارىء أن نذكره هنا بمقالات على عبدالرازق التى جمعت فيما بعد فى كتاب: «الإسلام وأصول الحكم». وحسب القارىء أن يذكر كذلك أن صحيفة السياسة هى التى حمت الدكتور طه حسين من بطش الحكومة بعد نشره كتاب: «فى الشعر الجاهلى». بل حسب القارىء كذلك أن نذكره بمقالات إبراهيم عبدالقادر المازنى وهى عبارة عن قصص فى إطار مقالات كانت نوعا جديدا فى فن المقال من حيث هو. ثم حسب القارىء أخيرا أن نذكره بالمقالات النقدية الاجتماعية التى كتبها عبدالعزيز البشرى، وجمعت بعد ذلك، فى كتاب عنوانه: «فى المرأة» وفيه صور كاريكاتورية إقليمية لكثير من الشخصيات البارزة فى الأمة المصرية كانت هى الأخرى لونا جديدا من ألوان المقال<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الفن اختيارا، فإن اختيار اسم «السياسة الأسبوعية» يدل على نزعة محررها إلى التجديد، لأنه يجنح بالصحافة المصرية إلى إحراز تقدم ثقافى ذهبت إليه صحافة الغرب، فهو يريد «بالسياسة الأسبوعية» أن تكون «وسطا بين المجلة السياسية والجريدة السياسية، ويكون للأدب والاجتماع والاقتصاد والفن نصيب من العناية فيها قدر المستطاع»<sup>(٢)</sup>. وفى ذلك ما يبين أثر «النموذج الغربى الذى كان أمام محرر السياسة الأسبوعية، ونرجح أن يكون هذا النموذج هو

(١) الصحافة المصرية فى مائة عام ص ١١٢.

(٢) السياسة الأسبوعية ص ١٣ مارس ١٩٢٦.

الطبعة الأسبوعية لصحيفة «التيمس The Times»<sup>(١)</sup>. ولعل ذلك يرجع إلى أن كلا من الصحيفتين رسمتا لنفسيهما سياسة ومنهجاً منذ صدور كليهما وبقينا عند تلك السياسة والمنهج لا يغير فيه أبداً.

فإذا كانت السياسة الأسبوعية قد صدرت وأمامها هذا النموذج الغربي. فإننا نذهب إلى للطفى السيد أثراً في تسمية «السياسة الأم»، ونعني الصحيفة اليومية التي اتخذت الأسبوعية اسمها، نرجعه إلى أرسطو الذي ترجمه أستاذ الجيل فالسياسة عند أرسطو هي أشرف العلوم، لأنه يعرفها بأنها تدبير المدنية ليكون سكانها فضلاء. ومن هذا التعريف ترجع إلى السياسة سائر العلوم كما قال أرسطو تأسيساً على أن السياسة تبين ما هي العلوم الضرورية لحياة فضلاء، وفي هذا التعريف ترجع إلى السياسة سائر العلوم، أي حد ينبغي أن يعلموها»<sup>(٢)</sup> فهل أرادت «السياسة الأسبوعية» أن تكون مرجعاً لسائر العلوم؟ وهل تكون بعد صدورها على النموذج الغربي قد حققت ما نرجّحه من آراء أستاذ الجيل؟

وأيا كان الأمر، فقد حاولت السياسة الأسبوعية فعلاً أن تقوم برسالة الثقافة الشاملة «لسائر العلوم» فحشدت كل كبار الكتاب في ذلك الوقت فكان إلى جانب محررها: د. هيكل، طه حسين، ومحمود عزمي، ومصطفى عبدالرازق، وعلى عبدالرازق، وإبراهيم المازني وعبدالعزیز البشري، وتوفيق دياب، ومحمد عبدالله عنان.

وقد حدثني شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود رحمه الله أن الصفحة الاقتصادية فيها كان يحورها المرحوم كامل عبدالرحيم وكيل وزارة الخارجية، وكان يحرر الصفحة العلمية فيها الدكتور محمد والي الذي صار عميداً لكلية

(١) يحدثني الأستاذ حافظ محمود أن السياسة الأسبوعية فعلاً كانت تهدف أن تحقق ما تحققه الطبعة الأسبوعية The Times: Weekly Review بل إنها - اتخذت لنفسها شكل هذه الطبعة.

(٢) للطفى السيد: فيلسوف أبغظ زمة؛ للمؤلف، ص ١٦٩.

العلوم فيما بعد . وكانت تحرر الصفحة النسائية فيها الأنسة «مى» إلى جانب عدد كبير من المحررين والمترجمين الذين تتلمذوا على هذه الجريدة وأصبحوا من ألمع الكتاب فيما بعد مثل : الدكتور عبدالحميد يونس وحافظ محمود . . . وغيرهما .

وقال الأستاذ حافظ محمود أيضا، إن السياسة الأسبوعية كانت منذ نشأتها أوسع الجرائد العربية الشرقية انتشارا فى العالم، فبلغ متوسط توزيعها أربعين ألف نسخة أسبوعيا بينما كانت أعلى نسبة توزيع للصحف إذ ذاك لا تتجاوز عشرين ألف وكان نصف هذا العدد بالضبط يوزع فى البلاد العربية خارج مصر، ولذلك كان لها فضل الربط الفكرى بين القاهرة والعواصم العربية الأخرى .

ولا شك أن الفضل فى هذا النجاح يرجع إلى رغبة محررها المستمرة فى تطوير المقالة الصحفية بجميع فنونها وأشكالها تطورا يتصل بالشكل والمضمون<sup>(١)</sup>، ويبين إدراك د. هيكل لمسئولته القيادية فى إيجاد صحافة ممتازة، تواكب تقدم الصحافة العالمية، لتقدم للأمة العربية حينذاك ما كان يطمع إليه من مثل فكرية .

وهكذا نشأت السياسة الأسبوعية لتحضن النهضة الأدبية والأفكار التقدمية وتدافع عنهما بحرارة عظيمة، وحماسة صادقة<sup>(٢)</sup> .

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن أن نقول إن السياسة الأسبوعية قد خرجت بمباحثها ودراساتها أشبه ما تكون بـ«جامعة تضم مختلف الكليات فيها لكل طالب زاد - على حد تعبير المرحوم محمود تيمور<sup>(٣)</sup> . ولعلها كانت وليدة الضرورات والملازمات الاجتماعية فى تلك الحقبة من الزمن، إذ كانت الجامعة

(١) محمد حسين هيكل والفكر القومى المصرى ص ١٦٠ .

(٢) حمزة: مستقبل الصحافة ص ٢٠٨ .

(٣) محمد حسين هيكل والفكر القومى/ السابق ص ١٦٢ .

الحكومية ما تزال فى مهدها، طلابها نفر قليلون، على حين يتطلع شباب العصر إلى المعرفة والتأديب، فكان على السياسة الأسبوعية أن تروى ظمأ الجمهور الراغب فى التثقيف والتنوير».

ونخلص من ذلك إلى أن الصحيفة يتسق مع رسالتها لأنها تسير فى المفهوم الأرسطى «للسياسة» الذى ترجع إليه «سائر العلوم».

واحترمت السياسة الأسبوعية الفكرة الأساسية فى إنشائها، وهى فكرة الأدب فتجنبت - ما أمكن - الخوض فى أية موضوعات تمس السياسة الداخلية إلا اضطرارا. وأعلنت فى تقديم عددها الأول هذه الخطة فكانت سببا من أسباب إقبال القراء عليها حتى لقد كانت أول أمرها أكبر وأكثر الصحف العربية توزيعاً.

صدرت السياسة الأسبوعية عن شركة جريدة السياسة اليومية، وقد رأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة اليومية كما تقدم، ومع ذلك كله ظلت محافظة إلى مدى بعيد على استقلالها الذاتى بعيدا عن السياسة الحزبية، لتظل وثيقة الصلة بالنهضة الأدبية الجديدة. . . فظلت الصلة بينها وبين شركة السياسة مجرد صلة إدارية ومالية دون خلط بين سياسة الجريدتين إلا بعد سنين طويلة.

وليس معنى ذلك أن هناك انفصالا تاما فى المفاهيم بين الجريدة اليومية والأسبوعية. . . ولكن معناه أن السياسة الأسبوعية كانت تتعرض للسياسة من الزوايا العامة التى تكاد تكون ذات طابع دولى. . . وهذا ما كان يظهر فقط فى افتتاحياتها التى كان يكتبها أول الأمر رئيس التحرير الدكتور محمد حسين هيكل.

وقفنا على كثير من النظرات الجديدة فى الأدب والفكر ونحن ندرس الآثار الأدبية فى صحيفة السياسة الأسبوعية، وآراءها فى التجديد. ولقد فصلنا الحديث فى هذه الأمور، ولكننا نريد بعد ذلك أن نشير إلى اتجاهات التجديد

فى السىاسة الأسبوعية من خلال الاتجاهات التى دار فىها مقال هيكل بصورة مركززة تقفنا فى وضوح على الإضافات الجديدة التى أغنت بها السىاسة الأسبوعية صحافتنا الحديثة<sup>(١)</sup>.

ونود أن نشير بصفة عامة إلى أن د.هيكل محرر السىاسة الأسبوعية، وصحبه من كتابها ومحرريها كانوا يمثلون ثورة حقيقية فى صحافتنا العربية الحديثة، فلقد جاءوا إليها بثقافتهم وفكرهم الجديد، وطاقتهم الصحفية والأدبية المتفتحة، فملأوا حياتنا الفكرية بالأفكار الجديدة فى الأدب والصحافة، وحاربوا الجمود والتقليد ودعوا إلى التجديد فى نواحي الحياة، وأفسحوا المجال للمواهب الجديدة.

والواقع أن السىاسة الأسبوعية قد ورثت عن شقيقتها اليومية تلك الإمكانيات الفنية التى جعلتها رائدة للصحف المعاصرة، فجاءت صحيفة البلاغ بعدها فى ٢٨ يناير ١٩٢٣<sup>(٢)</sup>. فوجدت أمامها نموذجاً من الصحافة الحديثة يتفوق فناً على الصحف الأخرى وكان عليها «أن تظهر للقراء بصورة لا تقل عن الصورة التى ظهرت بها السىاسة بحال من الأحوال»<sup>(٣)</sup>.

من هنا جاءت السىاسة الأسبوعية لتمثل ذروة تيار التجديد الذى بدا فى السىاسة اليومية، كما سبق القول، وقد جددت «فى الأسلوب والمضمون، فخرجت من تلك الدائرة الضيقة التى كانت الصحافة فيها قاصرة على ذكر الحوادث السياسية فى الداخل والخارج. وأفردت صحائف للأدب والفن والزراعة والسيدات»<sup>(٤)</sup>. وكان ذلك كما يقول هيكل: «خطوة سعيدة، فإن الصحف الأخرى جاهدت لتحذو حذو السىاسة، والتنافس فى ذاته دافع إلى التقدم»<sup>(٥)</sup>.

(١) محمد حسين هيكل والفكر القومى / السابق ص ١٩١.

(٢) صدرت السىاسة اليومية ٣١ أكتوبر ١٩٢٢.

(٣) محمد حسين هيكل والفكر القومى / السابق ص ١٧٠.

(٤، ٥) السىاسة: فى ٣١ أكتوبر ١٩٢٤.

ذلك أن الخصومة السياسية، كما يقول طه حسين<sup>(١)</sup> قد دفعت «صحف الأحزاب المتخاصمة إلى التنافس فافتتت فيما جعلت تنشر من الفصول، وإذا الأدباء يستعرضون الآداب الأوروبية الحديثة يذيعونها ناقدين ومحللين ومترجمين، وإذا هم بعد هذا كله يرقون إلى إنشاء الدراسات التي تطول حتى تصبح كتباً تستقل بنفسها، وتقصّر حتى تصبح فصولاً تنشر في الصحف والمجلات ثم يجمع بعضها إلى بعض فإذا هي أسفار قيمة يجد فيها القارئ نفعاً ولذة ومقاماً. فهذا نوع جديد من الأدب عرفه الأوروبيون منذ زمن بعيد ولم نعرفه نحن إلا في العصر الحديث».

ومن جهة أخرى فقد جاء اشتغال الأدباء بالشئون السياسية في الصحافة عاملاً من عوامل هذه النهضة، بعد ثورة ١٩١٩. وهؤلاء - كما يقول العقاد<sup>(٢)</sup> - كان لهم «الأثر المحسوس في نشر الأدب بين قراء الصحف السياسية ونشر السياسة بين القراء المتأدبين الذين كانوا لا يحفلون بها ولا يقرأون من المقالات والكتب إلا ما كان أديباً محضاً أو بحثاً في موضوعات الشعر والنقد والبلاغة. . . فمنذ اشتغل أفراد هذه الطبقة بالصحافة والسياسة تعود قراؤهم السياسيون أن ينتقلوا معهم إلى مباحث الأدب والنقد وما إليها، كما تعود قراؤهم الأدبيون أن ينتقلوا معهم إلى السياسة ومناقشاتها حيثما خاضوا فيها وناضلوا عنها. فأتسع نطاق الأدب كما اتسع نطاق السياسة، واستفادت الأساليب العربية كما استفادت النهضة الوطنية من جودة التعبير وحسن التوجيه وارتقاء مذاهب القول والتفكير، ونشأت في مصر والشرق نهضة أدبية أو أدب سياسي تتقارب فيه درجات القراء ممن كانوا يألّفون الأدب دون السياسة إلى ما كانوا يألّفون السياسة دون الأدب، ثم اجتمعوا على مائدة واحدة لكل منهم نصيب فيها».

(١) فن المقال الصحفي في أدب طه حسين ص ٢٨.

(٢) فن المقال الصحفي في أدب العقاد ٢٢٨.

وتأسيسا على ذلك نستطيع أن نفهم الدور الذى أسهمت فيه السياسة الأسبوعية من توسيع نطاق القراءة وتهذيب لغة الصحافة وتمكين العبارات الوطنية وما يتصل بها من الخواج النفسية فى قلوب القراء ومن يقتدى بهم من قريب.

### التجديد فى التحرير الصحفى؛

والمقصود بالتحرير هنا هو الموضوع والأسلوب. وإذا كان هناك اعتراض قوى بأن الصحيفة التى يسهم فيها عدد كبير من الكتّاب لا يمكن أن يتنظمهم أسلوب واحد ولغة واحدة<sup>(١)</sup>. وهو اعتراض حق، حين ننظر فى التفاصيل والأجزاء، ونقف عندها. أما حين نتناول الصحيفة ككل فإن الاعتراض يهين ويضعف. إذ من الواضح أننا إذا كنا نجد الصعوبة فى الحكم على أسلوب السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعى بسبب من كثرة الكتّاب فيهما، فإن من اليسير أن نلاحظ أن الأقسام المختلفة الأساليب تتلاقى بعد ذلك وتتقارب وأن مسافة الخلف بينها تضيق وتنكمش، ويبقى لها بعد ذلك خط واحد كبير يمكن أن يفسر لغتها ويبين عن أسلوبها. ونحن فى السياسة الأسبوعية - مثلا - نوشك أن نكون أمام أسلوب واحد يتنظمها فى التفكير والتعبير إلى حد كبير.

أما الموضوع فقد سبق أن رأينا أن السياسة الأسبوعية منذ صدورها على الناس بصفحات جديدة منها، الصفحة الأدبية - الصفحة الفنية الصفحة العلمية - الصفحة القانونية - صفحة المرأة - الصفحة الاقتصادية إلخ. ولم تقتصر الصحيفة على ذلك حتى حرصت بدون انقطاع تشجيع الفنون الأدبية الجديدة، فشجعت حركة القصة فى الأدب العربى ترجمة وتقويما، إلى جانب عنايتها بالنهضة الفنية الأخرى فى المسرح والموسيقى والسينما.

(١) فى المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، ص ٢٩٠.

بهذه الطرق وأمثالها استطاعت السياسة الأسبوعية أن تدخل على الصحافة العربية الجديدة، وأن تشارك في النهضة الأدبية والفكرية التي بلغت أوجها بصدور الدستور في سنة ١٩٢٣. ونرجح أن يكون الوازع لهذه النهضة إلى اعتقاد محرر السياسة الأسبوعية بأن «الكاتب الذي يؤمن برسالته يخلق قراءه ولا يخلقونه»<sup>(١)</sup>.

فابتدعت السياسة الأسبوعية طرقا فنية للمشاركة في النهضة ؟ ومنها طريقة «المرايا» التي برع فيها عبدالعزيز البشري وقد استهلت المرايا عددها الأول في مارس ١٩٢٦ بمقالة عن «زيور باشا» وإلى جانب المقال صورة كاريكاتورية ضاحكة. وقد فتحت السياسة الأسبوعية بهذا الباب فتحا جديدا في الصحافة العربية يتجه إلى استخدام الأسلوب الكاريكاتوري. كما كتب بعض المرايا في السياسة الأسبوعية فكرى أباطة وحسن درويش وتوفيق فرغلي وعبد الحميد حمدي<sup>(٢)</sup>.

وكنا قد قلنا في كتابنا عن د. هيكل إنه عاد إلى كتابة صورة جديدة تحت هذا العنوان بعد ذلك بعشر سنوات حين لم تعد تصدر غير السياسة الأسبوعية ولم يكن يوقعها باسمه. وقد كان مرجعنا في ذلك الدكتور حسين فوزى النجار<sup>(٣)</sup>. وقد رجعنا إلى هذه الصور فلم نجد فيها أثرا لروح هيكل، مما جعلنا نرجع إلى محررها في هذه الفترة وهو أستاذنا حافظ محمود رحمه الله، الذي أوضح لنا أن هذه المرايا كانت تكتب بتوجيه من هيكل فقط، ولكن محررها هو حافظ محمود نفسه.

وأيا كان الأمر فقد فتحت السياسة الأسبوعية بابا جديدا في الصحافة

(١) الهلال: ٥ أغسطس ١٩٣٤.

(٢) فن المقال الصحفي في أدب محمد حسين هيكل ص ٢٢٧.

(٣) نفسه، ص ٢٣٠.

المصرية يستخدم الكاريكاتور عن طريق المقالات الأدبية أو الصحفية . بل كانت تقرن بين السخرية الكاريكاتورية والسخرية القلمية فى موضع واحد فتوسعت الصحافة من بعد استخدام الكاريكاتور إلى الحد الذى أحدث أزمة أخلاقية حادة خاض الكتاب فى بيانها، وانقسموا يومئذ إلى رأيين، الأول ينكر هذا الاتجاه كل الإنكار، وكان يتزعمه ويعبر عنه الدكتور هيكل<sup>(٣)</sup> والرأى الثانى لا يجد بأساً من استخدام هذا الفن وكان من دعائه الدكتور طه حسين<sup>(٤)</sup>.

### البلاغ الأسبوعى:

وسار على هذا الدرب (البلاغ) فأصدر صاحبه: (البلاغ الأسبوعى) فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦، وهو تقليد (للسياسة الأسبوعية) وكان من أهم محرريه عباس العقاد ومحمد السباعى وصبرى أبو علم ومحمود سليمان غنام فى حجم أصغر من (السياسة) وإن صدر أحياناً فى ثمان وعشرين صفحة ولكنه تميز بصورة الكاريكاتورية.

### مجلة الكشكول:

ثم صدرت فى مطلع الحركة الوطنية صحيفة تأثرت أبا نظارة هى (الكشكول) المصور لسليمان فوزى وكانت «جريدة مصورة اجتماعية انتقادية» عرفها المصريون فى ٢٤ مايو ١٩٢١ وكانت مثلاً طيباً للصحافة الهزلية وعاصرت التطور السياسى فى مصر إلى أن قضى صاحبها، وعن مدرسته صدرت (روز اليوسف) و(آخر ساعة) وما إليها من المجلات المماثلة<sup>(٣)</sup>.

(١) من كلمته بكتاب الدكتور محمد حسين هيكل ص ٣١.

(٢) حق السياسة: فى ٣٠ مايو ١٩٣٣

(٣) د. إبراهيم عبده: السابق ص ٢١٥.

أصدر أحمد حسن الزيات مجلة (الرسالة) فى ١٥ يناير ١٩٣٣ بالاشتراك مع طه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر وكانت خطتها «ربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب». ويصور الزيات مولد «الرسالة» واللقاء الذى تم بينه وبين طه حسين بشأن إصدارها فى وقت كانت المجلات الهزلية تطغى على الصحف الثقافية بعد تحول السياسة الأسبوعية إلى الاتجاه الحزبي، يقول: «فى ذات عشية من عشايا نوفمبر من عام ١٩٣٢ زرت أخى طه حسين فى داره بالزمالك. وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعد أن أغلقت دار المعلمين العليا ببغداد. وكان هو قد أنزل عن كرسيه فى كلية الآداب من جامعة فؤاد. فقلت له بعد حديث شهى من أحاديث الذكرى والأمل: ما رأيك فى أن تصدر معا مجلة أسبوعية للأدب الرفيع؟ فضحك ضحكته التى تبتدىء بابتسامة عريضة، ثم تنتهى بقهقهة طويلة، وقال: وهل تظنك واجدا لمجلة الأدب الرفيه قراء فى مجتمع، ثقافة خاصته أوربية، وعقلية عامته أمية، والمذنبون بين ذلك لا يقرأون إذا قرءوا - إلا المقالة الخفيفة والقصة الخليعة والنكتة المضحكة؟».

فقلت له: لعل من بين هؤلاء طبقة وسطى تطلب الجد فلا تجده، وتشتهى النفع فلا تناله.. فقال وهو يهز رأسه: حتى هذه الطبقة، إن كانت، ستقبل على الجد النافع أول الأمر لأنه تغيير وتنويع، فإذا ما ألح عليها، لا تلبث أن تسأمه وتزهده فيه.. والمثل أمامك فى السياسة الإسبوعية.

«فقلت له: ربما كان لإقبال القراء على السياسة الإسبوعية، ولإدبارهم عنها سببان «آخران غير التغيير والسأم.. كانت هذه المجلة أول ما صدرت قوية عفية خصبة فأصبحت حاجة، ثم اعترأها ما يعترى الكائن الحى من الوهن والانحلال فصارت فضيلة.

«فقال طه بعد نقاش طويل، أنت وشأنك . . أما شأنى فهو المقال الذى كتبه، والرأى الذى أراه. . وكان يظاهرنى على تفاؤلى أصدقائى الأذنون من لجنة التأليف والترجمة والنشر، فكانوا بهذه الظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد»<sup>(١)</sup>.

وحين عين طه حسين رئيساً لتحرير جريدة «كوكب الشرق» خوطب فى شأن الزيات فقبل نيابة عنه، ولكن الزيات هاله الأمر إشفاقاً على المجلة الوليدة التى أحاطت بمولدها الأمانى، فيعرض المسألة على أعضاء لجنة التأليف الذى أيدوا الزيات فترك طه حسين الرسالة مغضباً، واضطلع بها الزيات يعاونه رجال الفكر<sup>(٢)</sup> من أعضاء لجنة التأليف. ثم أخذ طه حسين ينازل توفيق الحكيم فى جريدة (الوادى) تحت عنوان (أخلاق الأدباء) نزالاً هدد بقطع الصلة بينهما، ولما كانت (الرسالة) قد شهدت مولد الحكيم الأدبى ونشرت تقديم طه حسين له، فقد نشر الزيات فيها مقال «أخلاق الأدباء» ليعرف قراء الرسالة النهائية بعد أن عرفوا البداية على صفحاتها . فأحرق ذلك طه حسين وهاجم الزيات أيضاً فى «الوادى» تحت نفس العنوان «أخلاق بعض الأدباء». فرد عليه الزيات تحت عنوان «بين أسلوبين» فى سنة ١٩٣٤. وكانت هذه المقالات من المساجلات الأدبية التى كان لها دوىٌّ فى ذلك الحين شغلت الرأى الأدبى العام. كما شهد «الرسالة» المقالات النقدية والقومية لطه حسين بين سنتى ١٩٣٦، ١٩٣٩،

---

(١) أحمد حسن الزيات: وحى الرسالة ج ٤ ص ٧٢، ٧٣- وما يذكر فى صدد صدور الرسالة أن الخطاط الذى عهد إليه أن يعلن مولدها على الجدران نظر فى الإعلان الذى كلف بكتابه فإذا به مسطور على هذا النحو: (مجلة الرسالة يحررها الزيات وطه حسين، وعرت الخطاط هزة أمام الأسمين الكبيرين. ورأى من سوء الأدب أن يكتبهما بلا القاب عرفها الناس لهما. فتطوع بإضافة الاستاذية وكتب مجوداً: مجلة الرسالة يحررها الأستاذين الزيات وطه حسن - وكانت (قفشة) تلقنتها مجامع العاصمة واحتشدت له قدرتنا على التفكه والدعابة، فكان ذلك خير إعلان عن المجلة الجديدة مكن لها من الرواج - الدكتوراة نعمات فؤاد: قم أدبية ص ١٨١ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٣.

وشهدت معركة مع العقاد موضوعها: «لاتينيون وسكسونيون» وفصول «على هامش السيرة» قبل نشرها في كتاب.

على أن احتجاج مجلة «الرسالة» من الأمور التي أسف لها طه حسين أسفا عميقا، في مقال بعنوان «لابأس»<sup>(١)</sup> يقول: «رأيت مصرع صحيفتين أديبتين في شهر واحد أو في أقل من شهر فضاقت صدري ومن حقه أن يضيق.. ثارت نفسي ومن الواجب عليها أن تثور، ولم أكتب في هذه الصحيفة أو تلك منذ عهد بعيد جدا، فلم أغضب لعلمي إن كان لي علم ولا لفني إن كان لي فن، إنما غضبت لعقلي، وأحسب أن لي عقلا، فقد كان يجد في هاتين الصحيفتين عزاء ومتاعا، وغضبت لعتول فريق من المصريين والشرقيين كانوا يجدون فيهما مثل ما كنا نجد من الغذاء والمتاع»<sup>(٢)</sup>. إلى أن يقول: «كنت أذكر كيف قهر الأدب في بعض الأوقات السياسية والأحزاب وكيف انتصر عليها، وكيف كان الناس يشترون بعض الصحف سرا يختلسون شراءها اختلاسات ويدسونها حتى لا يراها الناس لأن الزعماء كانوا قد حذروا من قراءة تلك الصحف. لكن الأدب كان أقوى من الزعماء، فكان الناس يخالسون بشراء الصحف، ويفرغون لقراءتها حين يخلون إلى أنفسهم وحين يأمنون عيون الرقباء»<sup>(٣)</sup>. ويعقب العقاد على هذا المقال بعنوان: «وأى بأس»<sup>(٤)</sup> يتحدث فيه عن أثر احتجاج المجلتين: الرسالة والثقافة، على الحياة الثقافية التي شارك فيها هذا الجيل من المثاليين.

### مجلة (الثقافة):

وكانت مجلة «الثقافة» قد توقفت قبل توقف «الرسالة»، بعد ست عشرة سنة من صدورها، وهي من الانجازات الثقافية في صحافة هذه الفترة، وقد

(١) الأهرام في ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٢) الأهرام في ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٣) الأهرام في ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٤) مجلة الثقافة ٣ يناير ١٩٣٩.

انفردت بها لجنة التأليف بعد انفصالها عن «الرسالة» فصدرت في ٣ يناير ١٩٣٩ لصاحب امتيازها أحمد أمين «تتقدم للعالم الشرقى مؤمنة بتقديرتها بنفسها وبأصدقائها شاعرة بتبعيتها مقدرة لواجبها وثقتها بقرائنها». وكان طه حسين قد أعيد للجاعة وترك العمل في الصحف السياسية اليومية، واستمر في عمادة كلية الآداب حتى مايو ١٩٣٩، وكان اشتراكه في تحرير «الثقافة» هو العمل الصحفى المنتظم بعد تركه العمل فى جريدة «الوادى» اليومية، ليواصل رسالته مع لجنة التأليف الغنية بأعضائها وتخصصها، ففيها العالم من كل صنف، وفيها الأديب من كل نوع، وفيها الفنان فى كل فن، حصلوا كثيرا من العلم والأدب فرأوا من واجبهم أن يشركوا فى علمهم وأديبهم أكبر عدد ممكن فى مختلف الأقطار»<sup>(١)</sup>.

وفى مجلة «الثقافة» تتحدّد الوظيفة النقدية فى المقال العربى التى تسمى استجابة من رأى العام الأديبى، كما يبين من الأصدقاء المتمثلة فى رسائل القراء.

### **طه حسين ومجلة الكاتب المصرى<sup>(٢)</sup>**

صدرت مجلة «الكاتب المصرى» فى أكتوبر ١٩٤٥ عن دار الكاتب المصرى للطباعة والنشر التى استمرت لمدة ثلاث سنوات حددت خلالها مفهوم الصحافة الأدبية عند رئيس تحريرها: طه حسين فى محورين يستقطبان كل أبحاثها هما: العرض والنقد، عرض الفكرة الجديدة أو الكتاب الجديد أو الأثر القديم، ومن خلال هذا الاحتكاك بين العرض والنقد يرسم طه حسين مفهومه للصحيفة الأدبية أو الفكرية العامة، لا غناء الفكر المصرى وتأصيله من خلال التعريف والتصحيح والتقويم فى النطاق الفكرى أو، الخلقى على السواء.

(١) مجلة الثقافة ٧ فبراير ١٩٣٩ .

(٢) صدرت المجموعة الكاملة لمجلة (الكاتب المصرى) فى سلسلة (صحافتنا الأدبية) عن هيئة الكتاب بالقاهرة.

وفى «الكاتب المصرى» بين الأثر الفرنسى فى ثقافة طه حسين والنموذج الذى تمثله للصحافة الفرنسية، والذى ظهرت آثاره من قبل فى صفحات الأدب فى السياسة اليومية والأسبوعية و كوكب الشرق والوادي، ومن نماذج المجلات الفكرية العامة: «المجلة الفرنسية الجديدة» التى كانت تتيح لكتابها معالجة موضوعات أخرى غير الأدب تظهر فيها مقدرتهم التحريرية وتضمنت فنونا أخرى من النقد الموسيقى والفنى (١)، عنى بها طه حسين فى مجلته، التى كانت على اتصال وثيق كذلك بمجلة «الأزمة الحديثة» (٢) التى يديرها سارتر، والتى ناقش طه حسين دعوتها إلى الالتزام والمذهب الوجودى فى الأدب والفكر، من خلال الريبورتاج والوثيقة ومقال التحليل الاجتماعى. وقد نشرت «الكاتب المصرى» مقالات لسارتر كان يخصها بها، وكان بعضها ينشر فيها وفى «الأزمة الحديثة» فى وقت واحد (٣).

وعنى رئيس تحرير «الكاتب المصرى» بالشهريات التى تصل القارىء العربى بالعالم مثل: شهرية السياسة الدولية - من وراء البحار - ظهر حديثا - فى مجلات الشرق - شهرية المسرح والسينما - فى مجلات الغرب - إلى جانب المقالات النقدية والاجتماعية والسياسية لطه حسين فى هذه المجلة.

من هذه المجلة بين العنصر النفسى للكيان الصحفى فيها، من تسميتها باسم «الكاتب المصرى» لأن هذه المجلة - كما يقول طه حسين - تستمد «برنامجها وخطتها وسيرتها من تاريخ مصر القديم والحديث، وعن المهمة التى نهضت بها مصر منذ شاركت فى الحضارة الإنسانية العامة» (٤) ولذلك يتوسل طه حسين بهذه المجلة الفكرية فى تحقيق «صلة ثقافية بأدق معانى هذه الكلمة وأرفعها بين الشعوب العربية أولا وبين هذه الشعوب وأمم الغرب ثانيا» (٥).

(٢، ١) Gactan picon: Panorama de la Nouvelle Littérature Française, P. 280.

(٣) الكاتب المصرى اعداد: نوفمبر، أكتوبر، يونيو ١٩٤٧.

(٥، ٤) الكاتب المصرى أكتوبر ١٩٤٥.

فهذه المجلة الفكرية تحدد مفهوم طه حسين للشبّات والاستقرار، والنمو والتطور والارتقاء، فى تأصيل الشخصية المصرية وهو المفهوم الذى ذهب بمجلته إلى أن تحرّس أشد الحرص على العناية بهذين المقيمين للأدب العربى فتعنى بتقديم هذا لأدب وتدرس تاريخه وتكشف أسراره وتحبى آثاره. وتعنى بالأدب الحديث الذى ينتجه الممتازون من كتاب الشرق العربى تذيبه وتدرسه وتنقده وتشجعه وتجعله غذاء لعقول العرب وقلوبهم وأذواقهم، وتهينه لعقول غير العرب من أبناء الأمم الأخرى المتحضرة بحيث يمكن أن ينتقل إلى اللغات الأوروبية المختلفة. ولذلك عنت «الكاتب المصرى» بالأدب الأجنبية تنقلها إلى القراء بالدرس والنقد والتحليل، واتفقت مع «طائفة من كبار الكتاب العالمين بأن يوافقها بمقالاتهم ودراساتهم بحيث تكتب خصيصا لها، وتشر فى اللغة الغربية قبل نشرها بأى لغة أخرى. وكذلك حاولت «الكاتب المصرى» أن ترفع الأدب عن هذه الخصومات التى تثيرها منافع الحياة العاجلة بين الناس».

ومن ذلك يبين أن طه حسين فى بيئة المقال الصحفى فى مصر، على الرغم من عمله فى الجامعة لم يقتصر على المشاركة الصحفية أثناء فترات الابتعاد عنها ولكنه ظل يسهم فى البيئة الصحفية عن قرب فى أحيان كثيرة، وعن بعد فى أحيان قليلة، فكتب فى «البلاغ» و«الجهاد» و«المصرى» فى الفترات التى لم يكن يشتغل بالمصحافة، فلم ينقطع عن الكتابة الصحفية إلا حين أعجزه المرض قبل وفاته بفترة. فهو كما يقول «لا يعفى نفسه من بعض الالتزام إلا ليفرض عليها التزاما آخر. ولا يفرغ من عمل إلا ليدخل فى عمل آخر»<sup>(١)</sup>.

(١) سامى الكيالى: مرجع سابق ص ١١٦، ١١٧.